آنا دالاسينا

Anna Dalassena

الإمبراطورة الأم

ودورها في بيت كومنين" ١٠٦٧-١١٠٠م"

إعداد

د/ مرفت محمد عبدالفتاح يوسف الديب

مدرس التاريخ الوسيط بقسم التاريخ،

كلية الدراسات الإنسانية تفهنا الأشراف ، جامعة الازهر

آنا دالاسينا Anna Dalassena

الإمبراطورة الأم ودورها في بيت كومنين" ١٠٦٧-١١٠٠م"

مرفت محمد عبدالفتاح يوسف الديب

قسم التاريخ، كلية الدراسات الانسانية، جامعة الازهر

البريد الالكترونى: MervatAbdulfatth2766.el@azhar.edu.eg

ملخص:

تهدف الدراسة: إلى إبراز الدور الذي لعبته "آنا دالاسينا" في الفترة الممتدة من ١٠٦٧م إلى ١١٠٠م، وقد برز ذلك منذ وفاة زوجها "يوحنا كومنين"، حيث ترك لها ثمانية أطفال خمسة من الصبية وثلاث فتيات، فكانت نعم الأم، فقامت بدور كبير في تربيتهم، وجعلت منهم رجالاً أصحاب مكانة قادرين على تولي أرفع المناصب، وبما أنها كانت شخصية ماهرة وعنيدة فقد تحدَّت كل الصعاب والظروف القاسية، وأصرت على إعادة المجد لعائلتها، وبالفعل نجحت فيما سعت إليه منذ أن تنازل "إسحاق كومنين" عن العرش بحدوث انقلاب عام ١٠٨١م، وعودة السلطة مرة ثانية إلى "أسرة آل كومنين"، ومنذ ذلك الحين ظهر دورها في الحياة السياسية عندما تولي ابنها "الكسيوس" العرش فكانت صاحبة السيادة والأمر والنهي في الإمبراطورية لمدة عشرين عامًا، فكان لها دور سياسي في إدارة الإمبراطورية وقت غياب الإمبراطور عن العاصمة، إضافة إلى الدور الإقتصادي الذي لا يقل أهمية عن السياسي، حيث استطاعت إخراج الإمبراطورية من الأزمة الإقتصادية التي تعرضت لها، كما برز دورها الاجتماعي والديني بصفة خاصة في كل نواحي الحياة في بيزنطة لمدة تقارب العشرين عامًا، وبعدها فضلت الانسحاب إلى أحد الأديرة؛ للإقامة به حتى وفاتها.

- **الكلمات المفتاحية:**" آنا دالاسينا"، "أسرة كومنين"

Anna Dalassena
The Mother Empress and Her Role in the Komnene House (1067 - 1100 AD)

Mervat Mohamed Abdel Fattah Youssef El-Deeb
Department of History, Faculty of Humanities , Al-Azhar University
E- mail: MervatAbdulfatth2766.el@azhar.edu.eg

Abstract:
The study aims to highlight the significant role played by Anna Dalassena in the period from 1067 AD to 1100 AD. Her role has emerged since the death of her husband John Komenene. He left her with eight children, five boys, and 3 girls, and she was the best mother for them. She played an outstanding role in raising them to be great men capable of holding the highest positions. She was a very clever and strong-willed character, as she defied all difficulties and harsh circumstances and insisted on restoring glory to her family. After the abdication of Isaac Komnene, she succeeded in what she sought after as her son Alexios took the throne, and since then she acquired an important role in political life and she was the sovereign, imperative, and forbidding in the empire for twenty years. She had a political role in managing the empire during the emperor's absence from the capital, in addition to the economic role that is no less significant than the political, as she was able to extricate the empire from the economic crisis it was exposed to. Moreover, her social and religious role was particularly prominent in all aspects of life in Byzantium for nearly twenty years. After that, she preferred to withdraw to one of the monasteries, to stay out there until her death.

Key words: " Anna Dalassena", " The Komnen Dynasty"

مقدمة:

لعبت المرأة في العصور الوسطي دورًا مهمًّا في الحياة السياسية، واستطاعت أن تثبت أن عالم السياسة لا يمثل العالم الذكوري فقط، بل على العكس تمكنت المرأة من القيام بالدور السياسي نفسه الذي لعبه الرجل، إضافة إلى دورها في جوانب أخرى منها الاجتماعي والديني والثقافي.

ويشهد التاريخ البيزنطي على أنه منذ الفترة الباكرة من تاريخ العصور الوسطي استطاعت المرأة أن تلعب دورًا مهمًّا في الحياة السياسية، مثل: "بولكيريا" Pulcheria شقيقة الإمبراطور "ثيودوسيوس الثاني" Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م)، والتي قامت بدور الوصاية على أخيها، وحصلت على لقب أغسطا Augusta عام ٤١٤م [١].

وقدمت المرأة نموذجًا سياسيًّا آخر وهو قيامها بالوصاية على زوجها مثل: صوفيا زوجة الإمبراطور "جستين الثاني " Justin II

---

(١) عن عصر الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني وأخته بولكيريا، انظر.

Michael Glycas: Annalium Pars IV, CSHB, Bonnae, 1836, pp. 484- 488, Theophanes, the Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern history" AD 284- 813", trans, Mango,C., & Scott, R., Oxford, 1997, pp, 122 ff.

عفاف صبره: تاريخ الدولة البيزنطية، ط١، عمان، ٢٠١٢، جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية" ٢٨٤- ١٤٥٣م"، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٨.

(٥٦٥-٥٧٨م) [١]، إلى جانب من قامت بالوصاية على ابنها مثل: "إيرين" Irene التي تولت الوصاية على ابنها قسطنطين السادس Constantine VI (٧٨٠-٧٩٧م) [٢]، وفي بعض الأحيان لم تلعب المرأة دور الوصاية فقط، بل كانت شريكة للإمبراطور في الحكم، على سبيل المثال: "ثيودورا Theodora" زوجة الإمبراطور "جستنيان الأول" Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م) [٣]، إضافة إلى "بروكوبيا" Procopia زوجة الإمبراطور "ميخائيل الأول رانجابية" Michael I (٨١١-٨١٣م) [١].

---

(١) عن عصر الإمبراطور جستين الثاني وزوجته صوفيا، انظر.

Leo Grammaticus, Chronographia, CSHB, Bonnae, 1842, pp. 132- 269, Theophanes: the Chronicle of Theophanes Confessor, pp. 356 ff.

السيد الباز العريني: تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٠.

(٢) عن عصر الإمبراطور قسطنطين السادس وأمه إيرين، انظر.

Symeon Magister aclogothete; in Theophanes Continuatus, ed Bekker. 1, CSHB, Bonnae , 1838, pp. 525 ff, Theophanes, the Chronicle of Theophanes Confessor, , pp, 626 ff, Joseph; The Empresses of Constantinople, London, 1913.

عفاف صبره: تاريخ الدولة البيزنطية، ط١، ص ٢٠٩ وما بعدها.

(٣) عن عصر الإمبراطور جستنيان الأول وزوجته ثيودورا. انظر.

Procpius, History of the Wars, trans, Dewing, H. B., vol, I, New York, 1914 & vol, II, London, 1916, Procpius: Buildings, trans, Dewing, H.B., vol, VII, London, 1971, Barker: Justinian and the ==

وهناك حالات أخرى لعبت فيها المرأة دور الحاكم والإمبراطور الأوحد مثل: الإمبراطورة إيرين Irene (٧٩٧- ٨٠٢م) زوجة الإمبراطور ليو الرابع Leo IV (٧٧٥- ٧٨٠م) ووالدة قسطنطين السادس (٢).

واستمر وضع المرأة بهذا الشكل حتي القرن الحادى عشر، ففي عهد أسرة آل دوكاس تولت الإمبراطورة يودكيا Eudocia زوجة الإمبراطور

==

Leter Roman Empire, Wisconsin, 1960, Vasiliev, A. A., History of the Byzantine Empire " 324- 1453", Madison, 1952,

بروكوبيوس: التاريخ السري لبروكوبيوس(حياة الإمبراطور جستنيان وثيودورا)، ترجمة صبري أبو الخير سليم، ٢٠٠١، بروكوبيوس: الحروب القوطية، ترجمة عفاف صبره، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١٩، محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، القاهرة، ١٩٨٩.

(١) عن عصر الإمبراطور ميخائيل الأول وزوجته بروكوبيا.، انظر.

Theophanes Continuatus, CSHB, Bonnae, 1838, pp 12- 66, Vasiliev, A. A., History of the Byzantine Empire , pp. 327 ff,

(٢) عن عصر الإمبراطورة إيرين.انظر.

Theophanes, the Chronicle of Theophanes Confessor, , pp, 628 ff, Constantini Manassis Compendium Chronicum, PG 127, pp. 375- 386, , Vasiliev, A. A., History of the Byzantine Empire , pp. 265 ff,

قسطنطين العاشر Constantine X (١٠٥٩- ١٠٦٧م) الوصاية على أبنائها الثلاثة، وهم ميخائيل واندرونيكوس، وقسطنطينوس [١].

كل هؤلاء النسوة يمكن الإستشهادُ بهن على أن المرأة تمكنت من القيام بدور مهم في الحياة السياسية، والذي من خلاله تمكنت من الحفاظ على عرش الإمبراطورية.

أما موضوع البحث فيدور حول "آنا دالاسينا" أم الإمبراطور "الكسيوس الأول كومنين"١٠٨١-١١١٨م" التي تمثل شخصية فريدة من نوعها؛ فهى قوية الإرادة جريئة حازمة، إلى جانب ما كانت عليه من الخبرة والقدرة الدالتين على حسن تصريفها للأمور، تحدّت الصعاب للوصول إلى هدفها، ورغم الظروف القاسية التي ألمت بها، إلا أنها

---

(١) عن الإمبراطورة يودكيا والوصاية على أبنائها، والتي استمرت ثمانية أشهر فقط، انظر.

Psellus, M., The chrongraphia, trans. Sweter, E. R. A., New Haven, Yale University, 1953, pp. 253- 262,

ميخائيل السرياني: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية، جـ٣، حلب، ١٩٩٦، ص ١٣٥، السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص ٧٢٥- ٧٢٦.

- **وعن المرأة ودورها**، انظر. علية عبدالسميع الجنزورى: المرأة في الحضارة البيزنطية، ط١، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٥ وما بعدها، عبد العزيز رمضان: المرأة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر، القاهرة، ٢٠٠٥، عائشة سعيد أبوالجدايل: المرأة والسلطة في العصور الوسطى، بحث منشور ضمن مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الحولية الأولى، ٢٠٠٢، ص ١- ٨٢.

استطاعت تربية أبنائها تربية عسكرية واستطاعت من خلالهم الوصـــول إلى هدفها.

ولعل ما دفعني إلى اختيار هذه الشخصية موضوعًا للبحث أن الكثير مـــن المؤرخين القدامى والمحدثين الذين تحدثوا عن المرأة والســـلطة قـــاموا بتسليط الضوء على "إيرين دوكاس" Irene Ducas زوجة الإمبراطـــور "الكسيوس الأول كومنين"، وتجاهلوا نسبيًا دور الأم الذي كان أكثر أهمية من دور الزوجة، حتى أن الكتابات العربية التي تعرضت للمرأة البيزنطية لم تهتم بالتأريخ لـــ "آنا دالاسينا" إلا في إشارات طفيفة للغاية لم تتجـــاوز عدة أسطر، ووَجَّهُوا جُلَّ اهتمامهم نحو الزوجة.

لذلك رأيت أن أتتبع تاريخ الأم التي تُعَدُّ المدرسة والمعلـــم الأول الذي قدم لنا شخصية محورية كبيرة مثل: ابنها "الكسيوس كومنين" فهـــي أهم من الزوجة التي لم يكن لها دور في إعداد الشخصية وحسن تربيتها.

وسنحاول في الصفحات التالية أن نتناول شخصية تلك المرأة من خلال محورين رئيسين ، فأما الأول فيدور حول دور "آنا دالاسينا" قبـــل تولي الكسيوس الأول كومنين عرش الإمبراطورية البيزنطية.

وسنتناول فيه عدة نقاط منها: التعريف بآنا دالاسينا، ثـــم رأي آل كومنين فـــي تنـــازل اســـحق كـــومنين Issac Comnenus (١٠٥٧-١٠٥٩م) عن العرش، وكيفية تربية آنا دالاســـينا أولادهـــا، ومحـــاولات التقارب مع أسرة دوكاس، ويلي ذلك عرض للمؤامرات التي تم تـــدبيرها للتخلص من أبنائها.

وأما المحور الثاني فيدور حول دور آنـــا دالاســـينا بعـــد تـــولي الكسيوس الأول كومنين العرش الإمبراطوري، وقد شمل عدة نقاط منها: دورها السياسي، فترة وصايتها على العرش أثناء غياب الكســـيوس عـــن العاصمة، ثم تتبع دورها الإقتصادي، الاجتماعي، والديني.

أولاً: دور آنا دالاسينا قبل تولي الكسيوس الأول كومنين عرش الإمبراطورية البيزنطية.

قبل الحديث عن الدور الذي لعبته آنا دالاسينا في الإمبراطورية البيزنطية سواء قبل تولي الكسيوس العرش أو أثناء توليه العرش، لا بد لنا أولاً أن نتعرف على هذه الشخصية.

تنتمي آنا دالاسينا إلى إحدى الأسرات الكبيرة في بيزنطة، فهي سليلة بيت "دوكاس" الإقطاعي الكبير صاحب النفوذ والمكانة التي لا تخفى على جميع أهل بيزنطة على اختلاف مكاناتهم (١)، فهي ابنة رجل شغل أرفع المناصب ألا وهو "الكسيوس خارون" Alexios Charon ودالاسينا

---

(١) آنا كومنينا: الكسياد، ترجمة حسن حبشي، ط٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٩.

– **بيت دوكاس:** ينسب إلى دوكاس ابن عم برينوس، واسم دوكاس من الأسماء الغامضة والغير مألوفة في مناطق متعددة، وقد ظهر لأول مرة بكثرة في منتصف القرن التاسع الميلادي، وقد برز أفراد هذه الأسرة في الجيش، ولعبوا دورًا في الشئون العسكرية والمدنية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، وكلمة DuX تطلق على قادة الجيش المسئولين عن المناصب العسكرية النائية.

Polemis, D., The Doukai from Ninth to the Twelfth Centuries: A Contribution to Byzantine Prosopgraphy, Presented for the degree of Philosophy, London, 1964, p. 15,

أمل فتحي سيد علي زيتون: السياسة الداخلية والخارجية للدولة البيزنطية على عهد أسرة آل دوكاس" ١٠٥٧– ١٠٨١م"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، ٢٠١٤، ص ٦٢–٦٣.

Dalassene، وتنتمي عن طريق الأم إلى بيت ديلاسينا العريق ذائع الصيت الذي أقلق مضاجع كثير من الأباطرة، إذن فجدها لأمها أدريانوس دالاسينوس Adrianos Dalassenos، الذي استمدت منه آنا لقبها، فقد أصرت على الاحتفاظ بعائلة والدتها (١).

---

(1) Skoulatos, B., Les personages Byzantins De L'alexiade, Louvain, 1980, p. 20, Diehl, C., Figures Byzantines, Paris, 1906, p. 320, Garland, L., Byzantine Empresses Women and Power in Byzantium, "AD 527- 1204", New York, 1999, p. 187, Kazhdan, P., the Oxford Dictionary of = Byzantium, Vol, 1, Oxford, 1991, p. 578, Cheynet, J., The Byzantine Aristocracy and Its Military Function, p. 50.

- **بيت الدالاسينوس:** يمثل تاريخهم نوعية الأسر البيزنطية الأرستقراطية العسكرية، وقد كانوا يمتلكون إقطاعيات عديدة لكونهم قادة عسكريين وحكام أقاليم- قد حكموا إقليم دالاس- ويُعَدُّ دميانوس Damianos مؤسس هذه العائلة، فقد كان قائدًا عسكريًا وحاكمًا لأنطاكيا ٩٩٦-٩٩٨م، وقد ارتبطت هذه العائلة بكثير من المصاهرات بالعائلات الأرستقراطية الأخرى، ومن بين هذه المصاهرات زواج قسطنطين العاشر دوكاس من إحدى بنات الأسرة المقدونية قبل زواجه من إيودوكيا .

Angold, M., the Byzantine Empire 1025-1204, A Political History, New York, 1947, p. 80, Kazhdan, A. P., & Epstenin, A. W., Change in Byzantine Culture in the Eleventh and Twelefth Centuries, England, 1985, pp. 63-64,

أمال حامد زيان: الدور السياسي للمؤرخ ميخائيل بسيللوس بالدولة البيزنطية"١٠٤١-١٠٧٨"، القاهرة، ٢٠١٢، هامش ٣، ص ٦٨.

==

وولدت آنا في عام ١٠٢٥م، وقيل: عام ١٠٣٠م ، وبما أن هـذه الأسـر الأرستقراطية تربطها علاقات مصاهرة بالأسر الأرستقراطية الأخرى لذا فقد تزوجت "آنا دالاسينا" من "يوحنا كـومنين" John Comenan أحـد أفراد الأسرة الكومينية عام ١٠٤٠م أو عام ١٠٤٥م (١)، وأنجبت ثمانيـة من الأولاد خمسة من الذكور، وهم: مانويل Manuel ، وإسحاق Isaac ، والكسيوس Alexios، وأدريانوس Adrianos، ونقفـور Nicephoros،

==

– **الكسيوس خارون:** يُعد من الأسر الأرستقراطية العسكرية التي ظهرت في بيزنطة، وقد كان حاكمًا لإيطاليا البيزنطية، وجد الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين.

Kazhdan, A. P., & Epstenin, A. W., Change in Byzantine Culture, p. 64.

(1) Nikephoros Bryennios, Issues of social gender in Nikephoros Bryennios, Trans, S. C. A., p. 743, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 20, Garland, L., Byzantine Empresses Women, p. 187, Jackson, G. M., Women Rulers Throughout the Ages, ABC– Clio, 1999, p. 25, Kazhdan, P., the Oxford Dictionary, Vol, 1, p. 578.

– **أسرة كومنين:** ينحدر أصلها إلى أصول إغريقية، وتُعد مـن بـين أكبـر الأسـر الإقطاعية والعسكرية التي تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية البيزنطية، فهي من أشـهر الأسر، إضافة إلى ثراء تلك الأسرة وكذلك امتداد أملاكها الواسعة في أسيا، تزعم هذه الأسرة شخص يُدعى إسحاق كان شخصية راقية، وكان من أبرز جنرالات هذا النظام الإقطاعي، وقد استقرت تلك الأسرة في إقليم أدرنة.

Diehl, C., Figures Byzantines, p. 317,

طه خضر عبيد: تاريخ الدولة البيزنطية، ط١، عمان، ٢٠١٠، ص ١٩٣.

وثلاثًا من الإناث، وهم ماريا Maria، وإيـــدوكيا Eudokia، وثيـــودورا Theodora [1].

- آنا دالاسينا في أعقاب تنازل إسحاق كومنين عن العرش:

تولى الإمبراطور إسحاق كومنين Issac Comenus " ١٠٥٧-١٠٥٩م" أخو يوحنا كومنين عرش الدولة البيزنطية ، وذلك عقب ثورة قام بها أبناء الطبقة الأرستقراطية العسكرية ، ضـــد الإمبراطـــور ميخائيـــل السادس Michael VI " ١٠٥٦- ١٠٥٧م"؛ بسبب سياسته التي غمر بهـــا الطبقة المدنية بالهبات والمنح[٢]، ومنح العديد منهم المناصب المهمة؛ مما

---

(1) NicFphore Bryennios, Histoire, ed, Gautier, p., Bruxelles 1975, p. 84, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 20, Garland, L., Byzantine Empresses Women, p. 187, Kazhdan, P., the Oxford Dictionary , Vol, 1, p. 578.

(٢) والجدير بالذكر أن المجتمع البيزنطي قد انقسم إلى طبقتين هما الطبقـــة المدنيـــة والطبقة العسكرية، فأما **الطبقة المدنية فقد** بدأ ظهورها منذ القرن العاشر المـــيلادي، وتكونت هذه الطبقة من الموظفين المدنيين العاملين في الجهاز الإداري للدولة، وعرفت هذه الطبقة بألقاب عديدة منها: أرباب القلم، الحزب البيروقراطي، وحزب البلاط، **وأما الطبقة العسكرية فقد** تكونت هذه الطبقة من القادة العسكريين، واستمدت قوتهـــا مـــن الأملاك التى امتلكتها، والمعروف أن النزاع بين الطبقتين وجد منذ أيـــام الإمبراطـــور دقلديانوس منذ قام بفصل السلطة المدنية عن العسكرية، ومع مرور الوقت وبالتحديـــد في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين فإن الانتصارات التـــى حققتهـــا الطبقـــة العسكرية قد أدت إلى غطرستها ورغبتها في القضاء علـــى الطبقـــة المدنيـــة رغـــم محاولات الإمبراطور باسيل الثاني عن كبح جماحها.

==

أدى إلى حقد الطبقة العسكرية، والتي سارعت بالقدوم إلى القسطنطينية طمعاً في هبات ومنح الإمبراطور (١)، وبعد وصولهم إلى القسطنطينية

==

Kazhdan, A. P., & Epstenin, A. W., Change in Byzantine Culture, p. 63, Vryonis, The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the Eleventh through the Fifteenth Century, Los Angeles, 1971, pp. 71- 73,

نقلاً عن حسنين محمد ربيع: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٦٦ وما بعدها، محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار العرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٢٣٧-٢٣٨.

لمزيد من المعلومات: عن الصراع بين الطبقة المدنية والأرستقراطية.

محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٠٣ وما بعدها، أمال زيان: ميخائيل بسيللوس، ص ٥٩- ٨٧.

(1) Psellus, M., The chrongraphia, p. 211, Garland, L., Byzantine Empresses Women, p. 167, Shepard, J., the Cambridge History of the Byzantine Empire "c. 500- 1492" New York, 2008, p. 602,

أمال زيان: ميخائيل بسيللوس، ص ٢٣٣ وما بعدها، عبد الغني محمود عبد المعطي: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين" ١٠٨١- ١١١٨م"، المنصورة، ١٩٨٣،ص ٣٤.

- **إسحاق كومنين:** أحد أفراد أسرة كومنين الأرستقراطية، ولد عام ١٠٠٧م في مقاطعة كومن Comne بالقرب من أدرنة، ووالده يُدعى مانويل أرويتكوس Manuel Eroticus ، ويُعد من القادة المشهورين على عهد الإمبراطور باسيل الثاني" ٩٧٦- ١٠٢٥" وقد عاش جميع أفراد هذه الأسرة في كنف الإمبراطور، كما سمح لهم بالإنخراط في الخدمة العسكرية، ونال إسحاق شهرة واسعة بسبب شجاعته؛ لذا منحه

==

طلبوا مقابلة الإمبراطور ميخائيل السادس الذي أساء معاملة هؤلاء القادة العسكريين، ولم يستجب لطلباتهم، بل أخذ في توبيخ البعض منهم، ووجه لهم الاتهامات، مثل: اتهام إسحاق كومنين بإفساد الجيش واستخدام الأموال لمصلحته الشخصية، فكانت النتيجة أن تذمر هؤلاء القادة، وقادوا ثورة ضد الإمبراطور، ونادوا بإسحاق كومنين إمبراطورًا وذلك عام ١٠٥٧م، وعلى الفور تم تتويجه في كنيسة أيا صوفيا على يد البطريرك كريولاريوس Cerularus، ولا شك أن هذا يُعد انتصارًا للطبقة العسكرية

==

الإمبراطور أراضي في بلافلاجونيا، وقد تزوج من ابنة ملك بلغاريا، وتوفي عام ١٠٦٠م وربما عام ١٠٦١م.

Kazhdan, P., the Oxford Dictionary, Vol, 2, p. 1011,

دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ، ٢٠٠٣، ص ٧٠، محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ٣٠٥، حسنين محمد ربيع: تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة، القاهرة، ١٩٨٣،ص ١٦٨، عبد الغني عبد العاطي، السياسة الشرقية، هامش ١٩، ص ٢٥.

– **ميخائيل السادس:** عرف باسم ستراتيوتيكوس" ومعناها أي المتشبه بالجنود، وهي تحقير لقوته العسكرية، أي أن أباطرة هذه المرحلة لم يكونوا جنودًا بل أشباه جنود، وتولى حكم الإمبراطورية لمدة عام واحد بناءً على ترشيح الإمبراطورة ثيودورا" آخر أباطرة الأسرة المقدونية.

Kazhdan, P., the Oxford Dictionary, Vol, 2, p. 1366,

دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ص ١٥٦، سيد أحمد علي الناصري: الروم تاريخهم وحضارتهم وعلاقتهم بالمشرق العربي، القاهرة، ١٩٩٣، هامش١، ص ٣٥٦.

على المدنية[1]، ويبدو من خلال تتويج إسحاق بهذه السرعة على يد البطريرك أن الكنيسة كانت موافقة على الانقلاب بدليل عدم اعتراض البطريرك، لذا لم تحاول التصدى لتلك الطبقة.

---

(1) Psellus, M., The chrongraphia, p. 226, Attaliates, M., The History, trans, Kaldellis, A., & Krallis, D., London, 2012, pp. 107–109, Shepard, J., the Cambridge History, p. 603,

الباز العريني: الدولة البيزنطية، ٦٧٥ – ٦٧٩.

لمزيد من المعلومات: عن أحداث هذه الثورة

Attaliates, M.,The History, pp. 99– 109, Psellus, M., The chrongraphia, pp. 227ff,

– **كنيسة أيا صوفيا:** تعرف بكنيسة الحكمة المقدسة، بنيت في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول" ٣٠٦–٣٣٧م"، وأعاد تجديدها الإمبراطور جستنيان الأول" ٥٢٧–٥٦٥م" بعد الحريق الذي نشب في سقفها، وقد اعترف بأنها أجمل كنيسة في العالم كله، وتعبر عن الذروة التي بلغ بها فن العمارة المسيحى. **للمزيد عنها** .

سانت موريس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٥٣– ١٥٥، رنسيمان: الحضارة البيزنطية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٣١٧– ٣١٨.

– **البطريرك كريولاريوس:** ولد بالقسطنطينية، وقد اشتهر بمجادلاته مع الكردينال" همبيرت" عام ١٠٥٤م، والتي أسفرت عن نزاع بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، وقيل: إنه ترك الوظائف المدنية؛ ليصبح راهبًا بسبب مشاركته في مؤامرة ضد الإمبراطور ميخائيل الرابع، واختاره قسطنطين التاسع ليكون بطريرك القسطنطينية، وكان رجل دين أجوف، شديد الجشع، ولم يكن أهلاً ليشغل هذا المنصب. **للمزيد عنه:** دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية،ص ٤٩– ٥٠.

وعلى الزعم من ذلك لم يدم الانتصار العسكري طويلاً، حيث إن الإمبراطور إسحاق كومنين قد تنازل عن العرش بعد عامين فقط من حكمه، ودخل أحد أديرة ستوديون Studion، وارتدي ملابس الرهبان، ولا تزال أسباب تنازله عن العرش غير واضحة، وربما يكون إسحاق كومنين قد وقع ضحية من جانب أولئك الذين لم يكونوا راضين عن حكمه، خاصة وأن الخزانة كانت خاوية، مما دفعه إلى وضع يديه على الاراضي التابعة لكبار الملاك العلمانيين والكنيسة، كما قام بتخفيض الرواتب؛ من أجل تقليل النفقات وإقرار الأمور الإقتصادية، لكن أصيب بشيء من الإحباط؛ لعدم تمكنه من تحقيق ما كان يحلم به إضافة إلى مرضه (١).

---

(1) Psellus, M., The chrongraphia, pp. 246- 247, Nicephorus Bryennius, Historia, II, CSHB, Bonnae, 1836, p. 43, Attaliates, M., The History, pp. 126- 127, Shepard, J., the Cambridge History, p. 603ff, Vasilive, A. A., History of the Byzantine Empire" 324-1453", Vol, 1, Madison, 1952, p. 352, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 317.

الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص ٧٢٣، عفاف صبره: الدولة البيزنطية، ص ٣٧٥، جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ٢٠١.

- **دير ستوديون:** يُعد من أكبر أديرة القسطنطينية، وقد أقيم عام ٤٦٣م تقريبًا على يد أحد البطارقة الرومان، ويُدعى ستوديوس؛ لذلك نسب إليه، وقد عُرف رهبان هذا الدير باسم الساهرون؛ لأنهم كانوا يواصلون أداء الخدمة الكنسية والقداسات بالليل والنهار دون انقطاع، ولقد احتل هذا الدير مكانة كبيرة عند البيزنطيين، وبخاصة في عهد ==

وكل ما يهمنا من تلك الأحداث هو موقف أسرة إسحاق كومنين من تنازله عن العرش، والذي انتهى به إلى دخوله أحد الأديرة مترهبًا، فهل كانت مؤيدة لموقف الإمبراطور أم كان لها رأي آخر حيال هذا الموضوع؟

اتهمت الإمبراطورة إيكاثرينا Ecatherina زوجة الإمبراطور إسحاق كومنين ميخائيل بسيللوس بأنه وراء تدبير كل ذلك خاصة وأنه أشار على الإمبراطور بدخول الدير مترهبًا، وقد حاول بسيللوس أن ينفي

==

ثيودور ستوديت Theodore Studite حيث جسد دير ستوديون الحياة الديرية في أفضل صورها، وكان الإمبراطور يذهب لزيارته سنويًا. انظر:

هسي: العالم البيزنطى، ترجمة رأفت عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧، هامش١٢، ص ٢٤٤، علية عبدالسميع الجنزوري: المرأة في الحضارة البيزنطية، هامش٢٣١، ص ١٦٥، أمل فتحي: أسرة آل دوكاس، هامش١، ص١٧.

– **ويبدو أن إسحاق كومنين** قد اتبع طريقة وأسلوبًا في الحكم لا تتلائم مع العصر الذى وجد فيه، فكانت نهايته سريعة حيث دهمه المرض نتيجة كثرة المشاكل التى جاءت من جراء حركته الإصلاحية، إضافة إلى صراعه مع البطريرك كريولاريوس. **لمزيد من المعلومات عن ذلك.**

Attaliates, M., The History, pp. 112– 127, Shepard, J., the Cambridge History, p. 603ff,

الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص ٧١٨– ٧٢٣، عفاف صبره: الدولة البيزنطية، ص ٣٧٢– ٣٧٥، جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٩٨– ٢٠١، محمد مرسي الشيخ: الامبراطورية البيزنطية، ص ٣٠٦–٣٠٩، أمال زيان: ميخائيل بسيللوس، ص ٢٣٧ وما بعدها، أمل فتحي: أسرة آل دوكاس، ص ٥١ وما بعدها.

عن نفسه تلك التهمة، موضحًا أن الإمبراطور رغب في دخول الدير بمحض إرادته وبدون ضغط من أحد، وكتب قائلاً:" لقد كانت الإمبراطورة متأثرة للغاية، وكانت تبكي بشدة هي وابنتها أيضًا، وهم على هذا الوضع كان الإمبراطور يفكر بأنه على وشك الانتقال إلى الحياة الأخرى؛ لذا أعرب عن رغبته في دخول الدير، وكانت أمنيته الخاصة، لم يكن لنا تأثير عليه على الإطلاق، لكن الإمبراطورة لم تكن تعلم ذلك، وألقت اللوم علينا"(١).

---

(1) Psellus, M., The chrongraphia, p. 247

- **الإمبراطورة إيكاترينا:** ابنة يوحنا فلاديسلاف John Vladislav ملك بلغاريا، اشتهرت بتدينها ورقتها، وعندما توج إسحاق كومنين إمبراطورًا تم ايضًا تتويجها إمبراطورة، وتُعد من الإمبراطوريات الهادئات، حيث كانت منطوية على نفسها محبة للعزلة.

Garland, L., Byzantine Empresses Women, p. 168, Cabe, J., the Empresses of Constantinople, London, 1913, pp. 181- 187,

نقلاً عن أمل فتحي: أسرة آل دوكاس، هامش٢، ص ٥٢.

- **ميخائيل بسيللوس:** يُعد من أشهر رجال السياسة في الدولة البيزنطية في القرن الحادي عشر، ولد في عام ١٠١٨م، وأقبل على التعليم بشدة؛ فدرس البلاغة والفلسفة التي اعتبرها سيدة المعرفة، كان مثقفًا لأبعد الحدود، وكاتبًا قديرًا وخطيبًا بليغًا، لعب دورًا سياسيًّا مهمًّا في البلاط الإمبراطوري في تلك الفترة، فعمل به كاتبًا ثم مستشارًا ثم دبلوماسيًّا، ثم وزيرًا، وترك لنا مجلدًا مهمًّا في الأحداث التاريخية من عام" ٩٧٦-١٠٧٧م".

==

أما موقف أخيه يوحنا كومنين فيذكر نقفور برينوس أن الإمبراطور إسحاق كومنين لما أيقن من وفاته الوشيكة استدعي أخاه يوحنا ليسلمه السلطة، لكنه رفض وأصر على رفضه(١)، وهناك من الآراء التي تذكر أن الإمبراطور لم يعرض الأمر على أخيه، بسبب فشله في تنفيذ مشاريعه الإصلاحية؛ لذا لم يحرص على ترك العرش لأخيه، حتي يجنبه متاعب الحكم وصعابه، وربما يكون الإمبراطور قد كره الوظيفة الإمبراطورية ومتاعبها ولم يشأ بأن يلقي بأحد من أهله فيها؛ لذا أخذ برأي

==

دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ص ٢٠٢- ٢٠٣، حسنين ربيع: الدولة البيزنطية، هامش ٢١، ص ١٦٨- ١٦٩. **للمزيد من المعلومات عنه وعن دوره السياسي.**

Leonis Allatii; Diatriba De Pselliis, PG, 122, pp. 490- 520.

أمال زيان: الدور السياسي للمؤرخ ميخائيل بسيللوس.

(1) Historia, II, p. 43, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 318.

- **نقفور برينوس:** هو من مؤرخي النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، وابن حنا بريبيوس حاكم دوراخيوم، وحفيد نقفور برينيوس الذي سعى عام ١٠٧٧م للوصول إلى العرش الإمبراطورى، وقد ولد عام ١٠٨٠م، وتزوج عام ١٠٩٧م من آنا كومنين ابنة الإمبراطور = الكسيوس كومنين، والتي كانت أصغر منه بقليل إذ إنها ولدت عام ١٠٨٣م، وقد منحه الإمبراطور الكسيوس الكثير من الألقاب بمناسبة زواجه من آنا.

دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ص ٢٧٤، فايز نجيب إسكندر: أسرة برينيوس ودورها في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، بحث منشور ضمن المجلة التاريخية المصرية، العدد ٣٣، ١٩٨٦، ص ١١٣-١١٧.

بسيللوس الذي تدور حوله الشكوك بأنه قد قام بتدبير مؤامرة؛ ليرغم الإمبراطور إسحاق على التنازل عن العرش (١).

أما عن الشخصية الثالثة التي كان لها موقف ورأي من هذه الأحداث فتمثلت في آنا دالاسينا زوجة يوحنا كومنين أخو الإمبراطور إسحاق، فمن خلال مطالعة الأحداث يبدو أنها كانت حريصة كل الحرص على ألا يخرج هذا المنصب من أسرة كومنين، فكان موقفها أقوي من زوجة الإمبراطور نفسها ومن أخي الإمبراطور زوجها، وما يتم عرضه لاحقًا يثبت ذلك.

فعندما تولي إسحاق كومنين عرش الإمبراطورية البيزنطية تطلعت آنا دالاسينا لوصول زوجها أو ابنها للسلطة، لكن طموحها انهار بتلقيها ضربة قوية عندما تنازل إسحاق، والأسوء من ذلك عندما رفض زوجها يوحنا تولي العرش.

وعلى الرغم من أنها حاولت أن تثير في نفس زوجها الشجاعة، وأن تعرض له ما يمكن أن تلاقيه الأسرة من عناء، وما يمكن أن تتعرض له من مخاطر في حالة ما تم اختيار من يتولي مقاليد الحكم، الذي ربما يسارع إلى إبادة عائلتهم، بفكرة تعزيز قوته، فتقول " لماذا نعرض أنفسنا وأطفالنا لخطر واضح"، كما أنها انتقدت وبشدة هذا الترفع وهذا الموقف الوسطي الذي يشير إلى خطورة الموقف، ولم تستطع الدموع والتوسلات

---

(1) Vasilive, A. A., History of the Byzantine Empire, Vol, 1, p. 352, محمد مرسي الشيخ: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٠٩، عفاف صبره: الدولة البيزنطية، ص ٣٧٥، جوزيف نسيم: الدولة البيزنطية، ص ٢٠٠- ٢٠١.

ولا حتي النقد اللاذع أن يغيروا من موقفه(١)، ويوضح لنا هذا أنها كانت شخصية طموحة، وطموحها لم يكن لشخصها بل لعائلتها.

ومع ذلك فقد تنازل إسحاق عن العرش الإمبراطوري لأحد أصدقائه ويُدعي قسطنطين دوكاس، الذي تم استدعاؤه إلى القصر الإمبراطوري، وتحدث معه الإمبراطور قائلاً:" فأنا أسلمك الإمبراطورية، والأكثر من ذلك أسرتي فأنا أضع زوجتي وابنتي أمانة في يدك، وأسألك أن تعتني بأخي وابن أخي" (٢).

وبهذا انتهى عهد الإمبراطور إسحاق كومنين، ويظهر على الساحة السياسية أسرة جديدة تتولي عرش الإمبراطورية، والتي عرفت باسم أسرة آل دوكاس.

ولم تستطع آنا دالاسينا أن تنسى ذكريات النقاش الذي دار بينها وبين زوجها في شهر نوفمبر من عام ١٠٥٩م، ولن يغريها شيء في ضياع هذا الإطار الإمبراطوري الذهبي، والذي كانت سترتديه بكلمة

---

(1) Bryennios, Histoire, pp. 80-82, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 187, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 318.

(2) Psellus, M., The chrongraphia, pp. 248- 249,

أمال زيان: ميخائيل بسيللوس، ص ٢٥٧- ٢٥٨.

- **قسطنطين دوكاس:** ولد عام ١٠٠٦م بإقليم بافلاجونيا Paphlagonia تزوج ابنة قسطنطين دالاسينوس لكنها توفيت قبل توليه العرش، ثم تزوج من ابنة أخ البطريرك كريولاريوس تُدعى يودكيا، وأنجب منها ستة أبناء ثلاث بنات وثلاثة أولاد.

دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ص ١٣٩-١٤٠.

واحدة من زوجها، ولن تسامح آل دوكاس الذين قفزوا على عرش راودها في يوم من الأيام حلم الجلوس عليه (١).

ومنذ تلك اللحظة قررت أن يكون لها هدف واحد في حياتها ألا وهو أن تجد الفرصة التي ضاعت منها، وذلك عن طريق اغتنام الفرصة المناسبة لاستعادة السلطة العليا.

- **تربية آنا دالاسينا لأبنائها:**

بعد فترة من تلك الأحداث العصيبة التي مرت بأسرة آل كومنين توفى زوجها يوحنا كومنين عام ١٠٦٧م، وصارت آنا دالاسينا مسؤولة عن ثمانية أطفال خمسة من الصبية وثلاث فتيات، حيث وقع على عاتقها دور مزدوج وهو تربية الأبناء الذين كانوا ولا زالوا صغارًا، وتعهد الأخرين وتأمين مستقبلهم في الملك، وكانت تستمع بصدر رحب لكل من يقدم لها النصيحة من أجل مستقبل أبنائها، ولم تكن تدخر وسعًا في جعل أي توقعات أو أية نصيحة قابلة للتجديد من أجل مصلحتهم، فكان دورها كبيرًا، وظل هذا الدور يتنامى يومًا بعد يوم(٢).

ومع ذلك فقد نجحت في بتربيتهم، وجعلت منهم رجالاً جديرين بعائلاتهم، وأصحاب مكانة قادرين على تولي أرفع المناصب، والتي تمنت هي نفسها أن يشغلوها وحلمت بها، فقد صار ثلاثة من أبنائها قادة،

---

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 318.

(2) Bryennios, Histoire, p. 84, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 320, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 187.

فمانويل وهو الابن الأكبر يخدم في الجيش الإمبراطوري، أمـــا إســـحاق والكسيوس– فيما بعد– فقد كانا ما بين سن التاسعة عشر والعشرين، وأما أدريانوس ونقفور فقد كانا لا يزالان طفليين(١)، ويبدو من خلال ذلك أنها هي من وضعتهم على أول الطريق، وعملت على حمايتهم لمـــدة أربعـــة عشر عامًا حتي تحقق حلمها ونجحت فيما سعت إليه.

أما بالنسبة لبناتها فإثنتان منهن تزوجتا أثناء حياة والدهما رجلـــين ثريين من أصول نبيلة، فـــ "ماريا" البنت الكبرى قد تزوجت من ميخائيل طرونيت Michel Taronite ، وأما إيدوكيا الثانية فقد تزوجت من نقفور ميليسين Nicephore Melissene ، أما الثالثة ثيودورا فقد تزوجت بعد وفاة والدها من قسطنطين ديوجين Constantin Diogene(٢)، فيبدو أن

---

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 322.

(2) Bryennios, Histoire, p. 84, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 322.

= – **نقفور ميليسين:** هو من أصول نبيلة وقف بجانب الإمبراطور الكسيوس كومنين قبل تولية السلطة، وهو رجل ذكي ومثير للإعجاب. للمزيد عنه.

Bryennios, Histoire, p. 84, Mousket, P., Histoire De L'Empire De Constantinople Sousles Empereurs, Vol, 20–22, Javaring, 1729, p. 146.

– **ميخائيل طرونيت:** تزوج من ماريا الأخت الكبرى للإمبراطور الكسيوس كـــومنين، وكان محاربًا شجاعًا تولى قيادة الجيش في معركة كالابريا الشهيرة، ولكنه اشترك في مؤامرة ضد الكسيوس؛ لذا حكم عليه بالنفي ومصادرة أملاكه.

Ameilhon, H. P., Histoire du Bas–Empire: en commençant à Constantin le Grand, Vol, 15, Paris, 1833, p. 274.

– **قسطنطين دويوجين:** الذي ينتسب لعائلة ديوجين، وهو اسم أطلق على أحد أمـــراء الشام المسلمين الذي تزوج من ابنة أحد القادة الرومان، وهذه الكلمـــة مشـــتقة تعنـــي" ==

آنا دالاسينا قد لعبت بالفعل دورًا كبيرًا لحماية أولادها، وأن دورها لم يكن قاصرًا على الصيبة فقط بل رغبت أيضًا في تأمين مستقبل بناتهـــا، بـــأن قامت بتزويجهن من أشخاص أثرياء وذو مكانة.

٢- محاولات التقارب من أسرة دوكاس:

على الرغم من أن آنا دالاسينا لم تكن راضية عن حكم أســـرة آل دوكاس، إلا أنها دائمًا كانت تغتنم الفرصة للتقرب من البلاط الملكي، وقد هيأت لها الظروف هذا الأمر.

ففي تلك الفترة التي توفى فيها زوجها يوحنا كومنين توفى أيضًـــاً الإمبراطور قسطنطين العاشر دوكاس بعد حكمه للإمبراطورية لمدة ســـبع سنوات، وترك زوجته الإمبراطورة يودوكيـــا ميكريمبوليتيـــا Eudocia Macromb وصية على ابنها ميخائيل السابع (١).

==

فرسان الحدود"، وأسرة ديوجين هي أسرة عريقة ومميزة وتنتمي للطبقة الأرستقراطية العسكرية وقد نالت مكانة مرموقة منذ القرن العاشر، وامتلكت العديد من الأملاك فـــي كبادوكيا وخرسون وسط آسيا الصغرى.

Kazhdan, the Oxford Dictionary, Vol, 1, pp. 378- 379,

أمل فتحي: أسرة آل دوكاس، هامش١، ص ٨٠.

(1) Bryennios, Histoire, p. 84, Psellus, M., The chrongraphia, pp. 254, 262, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 322, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 20, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 169.

==

وكانت إمبراطورة نشيطة طموحة متعطشة للسلطة، وكانت تقول:" أمنيتي أن أموت وأنا جالسة على العرش"، وكان زوجها دائم الثناء والتقدير لها، ويرى أنها المرأة الأكثر حكمة في وقتها، ولا يوجد أحد أفضل منها لتعليم أبنائه وبناته، وضمن لها الجلوس على العرش قبل وفاته، وذلك عن طريق مرسوم أصدره بنفسه يعطي لها الحق في ممارسة السلطة المطلقة ليس فقط من باب أنه كان زوجًا غيورًا وعاشقًا لزوجته، بل كان وراء هذا المرسوم تعهد من قبلها بألا تتزوج مرة ثانية، وألا تجلب أحدًا من أبناء عمومتها للعاصمة حتي لا يشاركوها في الحكم، ولقد وافقت على هذا

==

– **الإمبراطورة يودوكيا ميكريمبوليتيا:** ابنة أخي البطريرك كريولاريوس، والزوجة الثانية للإمبراطور قسطنطين العاشر، وتوجت امبراطورة مع زوجها، وكانت تتمتع بالذكاء، وكانت مثقفة وكانت ايضًا تجيد نظم الشعر حتى أنه يُقال: إنها صاحبة قصيدة Violarliem " أي حفل زهور البنفسج"، ومن المؤكد أنها كانت تحب الكتابة فكتبت عن الاهتمامات التى يجب أن تشغل شخصية مثل شخصية الأميرة، وتناولت أيضًا بعض مظاهر الحياة في الأديرة، وكانت تتمتع بقدر كبير من الجمال، وكان زوجها يكن لها كثيرًا من الاحترام والتقدير، وعندما تولى ابنها ميخائيل السابع السلطة انسحبت إلى أحد الأديرة وظلت به حتى وفاتها عام ١٠٨١م.

Psellus, M., The chrongraphia, pp. 254, 262, Diehl, C., Figures Byzantines, pp. 322– 323, Kazhdan, the Oxford Dictionary, Vol, 2, p. 739,

دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ص ١٦٨– ١٦٩.

الشرط والاتفاق الذي وقعته بنفسها وقد أُسند سرًّا إلى البطريـــرك يوحنـــا إكسفيلينوس John Xiphilions (١).

ولكن للأسف كانت الإمبراطورية في وضع يصعب على إمرأة أن تتحمله، وكان قسطنطين العاشر قد حاول أن يحسن من أوضاعها (٢)؛ لذا تطلب الأمر وجود رجل، ومن ناحية أخرى كانت يودوكيا قد وصلت إلى حالة من الاضطراب لأن تكوينها النفسي لم يتحمل فقدان الزوج؛ لذا وقعت في غرام القائد رومانوس ديوجين Romanus Diogene الذي حـــاول القيام بانقلاب عسكري بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين العاشر، وجـــرت

---

(1) Psellus, M., The chrongraphia, pp.262- 264, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 323, Garland L., Byzantine Empresses Women, pp. 169- 170.

- **البطريرك يوحنا إكسفيلينوس:** تولى منصب بطريرك القسطنطينية من عام ١٠٦٤م حتى عام ١٠٧٥، وكانت تربطه بمخائيل بسيللوس رابطة الصداقة الحميمة، وقـد تـم اختياره رئيسًا لمدرسة القانون في القسطنطينية، وقد رشحه الإمبراطـور قسـطنطين التاسع لهذا المنصب، ولكنه استقال منه، وفي عام ١٠٦٤م كان قـد تـولى منصـب البطريركية رغم أنفه.

دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ص ٦٢.

(٢) للوقوف على الأوضاع التي كانت تمر بها الإمبراطورية. انظر

Ostrogorsky, G,. History of the Byzantine State, trans, Hussey, J, London, 1956, pp. 302ff,

= عفاف صـبرة: الدولـة البيزنطيـة، ص ٣٧٦- ٣٧٨، محمـد مرسـي الشـيخ: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣١١ وما بعدها.

المناداة به إمبراطورًا في يناير عام ١٠٦٨م [1]. ويمثل هذا التغيير انتصار الحزب العسكري والذي دعمه صعود رومانوس على العرش على الحزب المدني.

([1]) Psellus, M., The chrongraphia, p.266, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 323, Garland L., Byzantine Empresses Women, pp. 172- 173, Ostrogorsky, G, Byzantine State, p. 304.

علية الجنزوري: المرأة في الحضارة، ص٤٠، الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص ٧٢٦.

- **والجدير بالذكر** أن الشيء الوحيد الذي كان يقف حائلاً أمام إتمام هذا الزواج هو وجود الوثيقة التى كانت قد وقعتها بعدم الزواج مرة ثانية، والتي كانت في حوذة البطريرك، لذا قامت الإمبراطورة وبمهارة شديدة بخداع البطريرك عن طريق إقناعه بأنها وقعت في حب شقيقه؛ لذا راودته فكرة الثروة والجاه اللتان تنتظرانه هو وعائلته في حالة زواج الإمبراطورة من شقيقه؛ لذا قام بتسليم الوثيقة للإمبراطورة التي ما لبثت أن كشفت عن وجهها الحقيقي وأسقطت عنها القناع وتزوجت من رومانوس ديوجين، وقد أعلن كل من البطريرك والقيصر يوحنا شقيق الإمبراطور المتوفي وكذلك الوزير بسيللوس. للمزيد من المعلومات.

Psellus, M., The chrongraphia, pp.266ff, Attaliates, M., The History, p. 169, Shepard, J., the Cambridge History, p. 675, , C., Figures Byzantines, pp. 323- 324, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 174.

علية الجنزوري: المرأة في الحضارة، ص ٣٧ وما بعدها، أمل فتحي: أسرة آل دوكاس، ص ٨٦ وما بعدها.

- **رومانوس ديوجين:** ينتمي إلى أسرة عريقة وكان رومانوس قائدًا عسكريًّا محنكًا لكن الفساد كان قد نفشى في الدولة بصورة أصبح بها هذا الفساد هو السمة لعهده، وقد ==

وبعد عرض هذه الأحداث نتسأل كيف استخدمت دالاسينا هـذه الأحـداث لصالحها، وهل استفادت أسرة كومنين من هذه الأحداث؟

بالفعل عند تحليل الأحداث، والوقوف على ما حدث بعدها، سوف نلاحظ أن أسرة كومنين كانت المستفيد الأكبر من هذا الوضع، حيث إن آنا دالاسينا دعمت يودوكيا ورومانوس الرابع ديوجين ضد عائلـة دوكـاس وَعدَّتْ ذلك جزءًا من خطتها [1]؛ لأن رجوع الحكم مرة ثانية إلـى يـد الحزب العسكري أمر في غاية الأهمية لأسرة كومنين، وسهل لها الاقتراب من البلاط الملكي، كما أن يودوكيا تربطها قرابة بعائلة آل كومنين حتـى ولو كانت بعيدة نوعًا ما، وكانت العائلتان تمثلان أكبر داعمي فكرة إعادة تنظيم الجيش والاهتمام بالجانب الحركي فيه وهذا ما كان يمثلـه القائـد رومانوس.

==

اشترك في مؤامرة ضد الإمبراطور رومانوس الثالث مع والـده، وعنـدما اكتشـفت المؤامرة انتحر والده، وانتهى بوقوع كارثتين كانتا من أفدح الكوارث الحربيـة التـى نزلت بالإمبراطورية، الأولى معركة " منزكرت" عام ١٠٧١م التي هلك فيها جيشه كله برمته، والكارثة الثانية- وايضًا وقعت في العام نفسه- إذ استلاء النرمنديين على بارى آخر المعاقل والممتلكات البيزنطية في ايطاليا.

للمزيد عنه.

Psellus, M., The chrongraphia, pp.269

دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطيـة، ص ١٢٢-١٢٣، البـاز العرينـي: الدولـة البيزنطية، ص٧٢٦، علية الجنزوري: المرأة في الحضارة، ص ٣٩.

(1) Garland L., Byzantine Empresses Women, pp. 187.

ومن ناحية أخرى كانت آنا دالاسينا تتمني سقوط أسرة دوكـــاس أعداءها التقليديين، وبذلك وجدت العائلتان في تقاربهما المصلحة المتبادلة، حيث قامت آنا دالاسينا بتزويج ابنتها الصغري لقسطنطين ديوجين وهـــو أحد أقارب الإمبراطور المقربين (١)، وهذا يجعلنا نتأكد من أن دالاســـينا كانت لا تترك أي فرصة من أجل الوصول إلى هـــدفها دون أن تســـعي لتحقيقه.

كما أنها أيضاً استطاعت الحصول على أعلى الامتيازات لابنهـــا مانويل كومنين Manuel Comenon، حيث قد حصل على شرف قيادة جيش الشرق ثم تقليده منصب البروتوبرودر Protoproedre (٢)، وبعد ذلك حصل على منصب القربلاطـــ Curopalate وبعد أن أصبح علـــى رأس الجيوش تميزت قيادته بتحقيق انتصارات باهرة، وذاع بفضله لقـــب عائلة آل كومنين في المعسكرات، وكانت آنا دالاسينا سعيدة بهـــذا القائـــد وطموحاته، إلا أن فرحتها وسعادتها بهذا لم تدم طويلاً، حيث مرض فجأة مرضًا شديدًا وهو في مدينة بيثنيا Bithynie ، وعند سماعها خبر مرضه

---

(1) Bryennios, Histoire, p. 84, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 324.

(2) Bryennios, Histoire, p. 88, & Bryennius, Historia, II, p. 47, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 324, Garland L., Byzantine Empresses Women, pp. 187.

- **البروتوبرودو:** منصب من المناصب الكنسية التى تعادل منصب أسقف أى رئـــيس الكنيسة المحلية، وقد أنشأ تقريبًا فى منتصف القرن العاشر، وقد ظل مقتصـــرًا علـــى الخصيان حتى منتصف القرن الحادى عشر. للمزيد من المعلومات.

Kazhdan, The Oxford Dictionary, Vol, 3, pp. 1727-1728.

الشديد توجهت الأم إلى فراش ابنها المريض، والذي كان يصارع الموت، وما إن رآها أمامه نهض لاستقبالها وارتمي في أحضانها واستجمع قواه ليقول لها عدة كلمات، وبعد ذلك سقط أرضًا وبعد أن أخذ وعدًا من والدته أن يدفن في نفس القبر الذي ستدفن فيه والدته يومًا ما، ثم مات وذلك عام ١٠٧١م [1]، ويثبت هذا أن تلك الأم استطاعت أن تغرس في أبنائها قدرًا كبيرًا من الحنان والحب والاحترام لها.

([1]) Bryennios, Histoire, pp. 100–102, Attaliates, M., The History, p. 269, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 325, Garland L., Byzantine Empresses Women, pp. 187, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21.

بيثنيا: يقع هذا الإقليم في الركن الشمالي الغربي من آسيا الصغرى في مواجهة القسطنطينية، ويشمل المدن والقرى الواقعة بين نيقوميديا ونيقيا وخلقدونية.

انظر. أمال زيان: ميخائيل بسيللوس، هامش٣، ص ٢٠٧.

– **قربلاط Curopalatus:** يعرف بلقب عميد القصر ظهر منذ القرن السادس الميلادى على عهد الإمبراطور جستنيان الأول ، ويكون حامله مسئولًا عن صيانة القصر، ويتم منحه لأفراد الأسرة الإمبراطورية، ثم منحه الإمبراطور ليو السادس كلقب وراثي لملك أيبيريا، ثم أبيح حمله لأشخاص من غير الدم الملكي في القرن الحادي عشر.

Bury , J. Administry System in The Ninth Century,London, 1911, pp. 20, 72, Ostrogorsky, Byzantine State, pp. 248– 249,

الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص ٣١٧.

وكتبت آنا كومنين ما يخالف ذلك تمامًا حيث ذكرت أن آنا دالاسينا لم تعرف لولدها مانويل تربةً دُفن بها(١)، وأيًّا كان فيُعد موت مانويل حدثًا كبيرًا أصاب الأسرة، حيث لم يكن مجرد فقدان شخص وإقامة الحداد عليه، ولكن كان هذا الفقدان بمثابة الحدث الذي أدخل في نفس الأم إحساسًا عميقًا بإليأس وهى تري انهيار طموحاتها التي بنتها على هذا القائد الشاب.

إلا أن دالاسينا ما لبثت أن هدأت واستجمعت قواها وتغلبت على الكرب، فلقد إختفي فرد من عائلة آل كومنين فيجب إذن اختيار فرد آخر من العائلة كي يكمل مسيرتها، ويحفظ مكانتها، وبناءً على ذلك سعت لإرسال ابنها الثالث الشاب الكسيوس على رأس الجيش(٢)، ومع ذلك لم تشفع له حماسته الحربية عند الإمبراطور رومانوس ديوجين الذي رفض خروجه للقتال، وأظهر شيئًا من الرحمة أكثر من الأم، فحينما قدم إلىه الشاب يستأذنه في الرحيل رد عليه الإمبراطور قائلاً:" لا يجب أن تترك

---

(١) الكسياد، ص ٣٥.

(2) Bryennios, Histoire, p. 104, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 325, Garland L., Byzantine Empresses Women, pp. 187, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21.

آنا كومنين: الكسياد، ص ٣٥.

والدتك وحيدة وهى في تلك الحالة الشديدة من الحزن، ولا أريد أن أضيف إلى ألم فقدان ابن غياب آخر" ثم أمره بالعوده إلى والدته(١).

وكتبت آنا كومنين في هذا الموقف أن الإمبراطور أمر الكسيوس بالعودة إلى أمه حتي لا تظل كسيرة الخاطر ملتاعة القلب، فحسبُها ألمًا ألا تعرف لولدها مانويل تربةً دُفن بها فتسقيها، وخشيت إن مضي هذا الابنُ الآخرُ إلى الحرب أن تمتد إليه هو أيضًا يد الهلاك فيلقى حتفه في إحدى البقاع المجهولة (٢)، ويبدو أن دالاسينا كانت مصرة على الوصول إلى هدفها مهما كلفها.

وسرعان ما انقلبت الأمور تمامًا وبدأت تأخذ مجرى آخر غير الذي رسمته دالاسينا، فبعد موت ابنها مانويل رفض الإمبراطور مشاركة ابنها الكسيوس في الحرب، ووقع الإمبراطور رومانوس في الأسر بعد موقعة منزكرت Mantzikert عام ١٠٧١م، وبناءً على ذلك عادت أسرة دوكاس إلى الحكم مرة ثانية، وعادت الإمبراطورة يودوكيا مشاركة مع

---

(1) Bryennios, Histoire, p. 104, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 325, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21.

(٢) الكسياد، ص ٣٥.

ابنهـــا ميخائيـــل الســـابع دوكـــاس Michael VII Ducas "١٠٧١-١٠٧٨م"(١).

---

(1) Psellus, M., The chrongraphia, pp.272- 273, Bryennius, Historia, II, p. 74, Garland L., Byzantine Empresses Women, pp. 176- 177.

رأفت عبد الحميد: بيزنطة بين الفكر والدين، ص ٢٨٠-٢٨١، أمل فتحي: أســرة آل دوكاس، ص ٨٢-٨٣.

- **ميخائيل السابع:** يعرف بباراببنكس، وكان طفلاً صغيرًا حين مات أبوه قســطنطين العاشر عام ١٠٦٧م؛ لذا قامت أمه يودوكيا بالوصاية عليه، وقد تزوج مــن الأميــرة الآلانية" ماريا" وانجب منها ولدًا واحدًا وهو قسطنطين دوكاس تخليداً لاسم والده، وقد قامت في عهده بضع ثورات تزعمها طامعون في العرش. للمزيد من المعلومات .

Zonarae Ionnis; Epitomae Historiarum, Libri, XIII- XVIII, CSHB, Bonnae, p. 714,

آنا كومنين: الكسياد، هامش٥، ص ٨٣، دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطيــة، ص ١٥٧-١٥٨، أمل فتحي: أسرة آل دوكاس، ص ٨٨ وما بعدها.

- **منزكرت:** تقع في أرمينيا إلى الشمال من بحيرة وان، ومنهم من يقول: إنها قلعة من أعمال خلاط، ولها العديد من المسميات الأخرى منها منازكرد ومنها ملازجرد، وكان سببها ازدياد هجمات السلاجقة على الاراضي البيزنطية، مما اضــطر الامبراطــور رومانوس الرابع إلى ارسال جيش لوقف تلك الهجمات.

للمزيد من المعلومات عن هذه المعركة. انظر

Inannis Curopalatae, Historia, II, CSHB, Bonnae, 1839, pp. 670-709, Georgius Cedrenus, Tomus, II, SCHB, Bonnae, 1839, pp. 590-591, Psellus, M., The chrongraphia, pp. 269ff, Bryennius, ==

إضافة إلى ذلك فقد حدث أمر آخر أثار عاصفة هوجاء علـــى آل كومنين، وانقلب الوضع تمامًا لدرجة أنه تم اتهام آنا دالاســينا وتقــديمها للمحاكمة، حيث إن رجلاً ماكرًا زور رسالة ادعى فيها أن آنـــا دالاســينا أرسلتها إلى رومانوس ديوجين، وانتهز أعــداء آل كــومنين الفرصـــة، واستدعوها إلى البلاط لمحاكمتها والتشهير بها، لكنها واجهتهم بشـــجاعة، ومع ذلك فقد أعلن أنها متمردة، وتم نفيها في بدايـــة عـــام ١٠٧٢م مـــع أطفالها إلى جزيرة برينكيبو Prinkipo– إحدي جزر بحر مرمـــرة– (١)،

==

Historia, II, p. 65ff, Scylitzae; Histtorico, pp., Joannis Scylitzae; Exerta ex Breviario Histtorico, PG, 122, pp. 690ff,

ابن الأثير" عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ت. ٦٣٠هـــ/ ١٢٣٢م"، الكامل في التاريخ، جـــ٥، بيروت، ١٩٦٦، ص ٢٠٢.عفاف صبرة: الدولة البيزنطية، ص ٣٨٠–٣٨٥، أمال زيان: ميخائيل بسيللوس، ص ٢٥٩ وما بعدها، أمل فتحـــي: أسرة آل دوكاس، ص ٢٩٤ وما بعدها، اسمت غنيم: معركة منزكرت في ضوء وثائق بسيللوس، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مجلد٢٨، ١٩٨١، ص ٢١٠–٢٤٨، محمد صالح الزيباري: سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ط٢، ٢٠٠٩، ص٦٤ ومـــا بعدها.

(1) Bryennios, Histoire, pp. 128– 130, Bryennius, Historia, II, pp. 79–82, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 187, Polemis, D., The Doukai, 126.

– **الجدير بالذكر** أن الإمبراطور رومانوس الرابع بعد اطلاق سراحه حاول العودة إلى البلاط الملكي لاستعادة العرش، ولكنه وجد الوضع قد تغير تمامًا، وانتهى به الحال إلى ==

ويبدو من خلال هذا أن الوضع قد تدهور كثيرًا حتي أن العقل المدبر لتلك الأسرة قد تم اتهامه، ولكن هل هذا الوضع سيستمر أم سيتغير وتعود آنا دالاسينا إلى خططها للوصول إلى هدفها؟.

بالفعل لم تستمر أزمة عائلة آل كومنين طويلاً؛ لأن القيصر يوحنا دوكاس- شقيق الإمبراطور قسطنطين العاشر- عدوهم اللدود الذي أخذ بين يديه مقاليد الحكم بعد رومانوس لم يلبث أن سوى أوضاعه مع ابن أخيه الإمبراطور ميخائيل السابع، وغادر البلاط الملكي ليستقر في الآراضي التي يمتلكها في آسيا (1)، إضافة إلى ذلك فإنه بعد وفاة

==

سمل عينيه وخروجه من قصره لابسًا ثيابًا سوداء، وعزلوه في دير حيث مات بعد قليل.

- للمزيد من المعلومات

Bryennius, Historia, II, pp. 74-90, Attaliates, M., The History, p. 177, Scylitzae; Histtorico, pp. 702-703.

محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية، ص ٣١٤، أمل فتحي: أسرة آل دوكاس، ص٨٣-٨٧.

(1) Bryennios, Histoire, p. 144, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 327, Polemis, D., The Doukai, 125.

- **وتجدر الإشارة** إلى أن ما حدث للقيصر يوحنا كان بسبب الريبة والشقاق التى بثها الوزير نيقفور بين الإمبراطور وعمه، حيث كان رجلاً داهية نشيطًا فصيحًا وصاحب خبرة واسعة، لكنه ماكر يُضمر ما لا يظهر من أفكار وأطماع، كما وشى بجميع الأقارب متهمًا إياهم بالتواطؤ والخيانة؛ مما أدى إلى ظلم كثير ووشايات وتهم باطلة وأحكام جائرة. للمزيد من المعلومات.

==

الإمبراطور رومانوس الرابع قام الإمبراطور ميخائيل السابع باستدعاء آنا دالاسينا من منفاها مع أبنائها، وبمجرد عودتها واصلت مخططاتها وطموحاتها، وفي هذه المرة تم التقارب مع البلاط الملكي عن طريق المصاهرة أيضًا، حيث تم تزويج ابن دالاسينا الأكبر إسحاق من إيرين ابنة عم ماريا زوجة الإمبراطور ميخائيل السابع [١].

كما كان من ضمن المكاسب التي حققتها آنا دالاسينا في تلك المرحلة تولي ابنها إسحاق قيادة جيش الشرق، والذي كان قد تولاه من قبل شقيقه مانويل، وعند مغادرته لتولي منصب قيادة الجيش قام إسحاق باصطحاب شقيقه الأصغر الكسيوس ليرافقه في معسكرات الجيش[٢].

==

Bryennius, Historia, II, p. 91, Scylitzae; Histtorico, pp. 705- 707.

(1) Bryennios, Histoire, p. 144, Bryennius, Historia, II, p. 91, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 327, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 188.

- **على حين** كتبت آنا كومنين أن هذه الزوجة بنت أخت الإمبراطورة ماريا.
انظر. الكسياد، ص ٩٠.

(2) Bryennios, Histoire, p. 146, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 327.

- **وتجدر الإشارة** إلى أن وضع الإمبراطورية في تلك المرحلة كان شديد الصعوبة، فعند الحدود الشرقية كانت هناك تهديدات الأتراك التي لا تتوقف، وإلى جانب ذلك كانت هناك الثورة التى قادها روسيل النورماندي زعيم المرتزقة والتي زادت الموقف سوءًا؛ لذا وجد الأخوان نفسيهما مضطرين إلى صد تلك الهجمات.

Bryennius, Historia, II, pp. 24- 211, Scylitzae; Histtorico, pp. 690- 743,

==

ويبدو أن دالاسينا كان لديها إصرار على إرسال أبنائها إلى الجيش وبالتحديد الكسيوس فما غرضها من ذلك؟.

وكما ذكرنا قبل ذلك فعلى الرغم من أنها فقدت أحد أبنائها إلا أنها كانت مصرة على تحقيق هدفها، فإسحاق كان قد تميز بالشجاعة وحب كل ما يتعلق بفنون الحرب والقتال، إلا أنه اشتهر بالاندفاع في مجال القتال فكان يهجم على الأعداء ويقع عليهم كالصاعقة، وفي المقابل كان في بعض الأحيان يقع بين أيديهم بسبب هذا الاندفاع (١).

أما الكسيوس فكان يبلغ ثلاثة وعشرين أو أربعة وعشرين عامًا، وكان شقيقه إسحاق يكبره بعدة سنوات، وقد تميز أيضًا بالشجاعة وحب كل ما يتعلق بالحرب والقتال، وفي الوقت نفسه تميز بالهدوء والتعقل في أفعاله وكان قادرًا على التحكم في انفعالاته بصورة نادرة، هذا إلى جانب مهارته في الحديث والقدرة على الإقناع، وبما أنه كان ذا طبيعة هادئة كان دائماً يفضل الوصول إلى الهدف الذي يسعي إليه بالحكمة والتعقل وليس بالعنف (٢).

==

عفاف صبرة: الدولة البيزنطية، ص ٣٧٦- ٣٩٠، الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص ٧٣٨ وما بعدها.

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 327..١٤٠ آنا كومنين: الكسياد، ص

(2) Diehl, C., Figures Byzantines, pp. 327-328.

آنا كومنين: الكسياد، ص ١٣٨- ١٤٠.

وبناءً على هذا كانت ترى آنا دالاسينا فيه الأجدر على تحقيق ما كانت تسعى إليه من طموحات؛ إضافة إلى أنه نشأ على طاعة أمه وتلبية أوامرها؛ لذا حظي من جانبها ببعض الامتيازات، ولهذا دفعت به في سن مبكرة نحو ممارسة مهنة الحرب، وألحقته بأخيه إسحاق، وصار ملازمًا له [١]، وسوف نرى أن كل ما أقدمت عليه دالاسينا يثبت بُعد نظرها.

واستنادًا إلى ما تم تدوينه عن تلك الأسرة فإن هذين الأخوين قد اتحدا معًا في مواقف كثيرة وتحديا معًا بشجاعتهما كثيرًا من الصعاب [٢]، ولقد عُرفت المعارك التي خاضاها بمعارك الفرسان؛ لذا حصلا على شهرة كبيرة، مما دفع البعض إلى التخلص من هذين الشابين اللذين أصبحا حديث الجميع، وتم الاتفاق على أنه لا بد من التفرقة بينهما؛ لذا تم إرسال إسحاق إلى أطراف بلاد الشام، في حين أوكلت إلى الكسيوس عام ١٠٧٥ مهمة القضاء على روسيل، وحتي يتم تحقيق تلك المهمة والتي بدت شديدة

---

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, pp. 327-328..١٤٣ آنا كومنين: الكسياد، ص

(٢) ومن الصعاب التى تعرض لها الأخوان ما حدث أثناء اشتباك بينهما وبين الأتراك، حيث قد مات حصان إسحاق وهو ممتطيه فسقط أرضًا ووقع في يد الأتراك، وحاول الكسيوس إنقاذ أخيه بكل ما أوتى من قوة، إلا أن مجموعات الجيش تفككت وتركت من ورائها قائدها الشاب .

- للمزيد من المعلومات عن هذه الأحداث.

Zonarae; Historiarum, pp. 709- 710, Bryennios, Histoire, pp. 148-158, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 329.

الصعوبة لم يتم إمداد الكسيوس بعدد كاف من الجنود، إضافة إلى انعدام التمويل المأدى (١).

وفي تلك اللحظة نجد أن الأم آنا دالاسينا قد فطنت لما يدور حولها وما يكنه الحاقدون لأبنائها، وعلى الرغم من أنها دائمًا تسعى لمزيد من الشهرة لأبنائها، إلا أنه كانت لديها اعتراضات شديدة على هذه المهمة وخوفها من أن يفشل ابنها بعد أن حقق تلك الانتصارات الباهرة، ومع ذلك قبل الكسيوس قيادة الجيش، قيامه بها دليل على مهاراته التكتيكية والدبلوماسية التي كان يتمتع بها، حيث قبل القيام بمهمة احتمال الخسارة فيها أكبر من إحتمال النجاح، ومع ذلك حقق مزيدًا من الشهرة بإلقائه القبض على روسيل واقتياده إلى القسطنطينية، واستقبله الإمبراطور بحفاوة

---

(1) Bryennius, Historia, II, p. 84, Diehl, C., Figures Byzantines, pp. 329-330.

آنا كومنين: الكسياد، ص ٣٦ وما بعدها.

– **روسيل:** من الفرسان النورمان الذين دخلوا في خدمة بيزنطة، وقام بدور مشبوه فيه مع الإمبراطور رومانوس الرابع في معركة منزكرت، هو أحد الثائرين على الإمبراطورية في تلك الفترة؛ لأنه عندما تولى ميخائيل السابع رأى مدى ضعفه، فرغب في تكوين إمارة له أُسوة بأقاربه في إيطاليا، وكتبت آنا كومنين عنه بأنه رجل مطبوع على الجشع الذى ما بعده جشع.

Scylitzae; Histtorico, p. 700,

الكسياد، ص ٣٦ وما بعدها، أمل فتحي: أسرة آل دوكاس، هامش١، ص ١٠٢.

بالغة قائلاً له:" أهلاً بك يا من كنت لنا بعد الرب المعين والذراع الأيمن للإمبراطورية" (١).

ومع ذلك فإنه في تلك الفترة ساد غضب شديد عم أرجاء الإمبراطورية وثار الجميع ضد الإمبراطور، ويرجع ذلك إلى سياسة الوزير نقفوريتز Nicphoretz المالية والجشع الشديد الذي تسبب في حدوث مجاعة مصحوبة بالطاعون في الإمبراطورية وهلكت نفوس كثيرة، إضافة إلى عدم حصول الجيش على مخصصاته، مما دفع رجاله إلى القيام بما يشبه العصيان الجماعي (٢).

---

(1) Ioannis Curopalatae, Historia, II, p. 713, Bryennius, Historia, II, pp. 84- 85, Zonarae; Historiarum, p. 712, Scylitzae; Histtorico, p. 713-716, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 330, Polemis; the Doukai, pp. 127ff

- **للمزيد عن هذه الأحداث: انظر.** آنا كومنين: الكسياد، ص ٣٦ وما بعدها، أمل فتحى: أسرة آل دوكاس، ص ١٠٢- ١١٣.

(2) Zonarae; Historiarum, pp. 714- 715, Scylitzae; Histtorico, p. 706, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 330, Vasiliev; Byzantine , p. 353.

- **نيقفوريتز: هو** خصي من البقلارى Boucellarii عبقرى في اختلاق المشاكل والخدع كان حاجبًا لوالد ميخائيل فحاك عليه الدسائس والمؤامرات وأوشى إلى زوجته أنه يخونها، فأبعد بتعيينه واليًا على أنطاكية، ونتيجة لمشاكله قبض عليه وسجن يوم اعتلى رومانوس الرابع، ولكنه تمكن من الهرب، وفي عهد ميخائيل السابع استدعاه يوحنا دوكاس لمساعدة ابن أخيه، فقلده منصب اللوجثيت، وجعل الإمبراطور تحت كامل سيطرته، وكل ما صدر عن هذا الطاغية نسبوه إلى الإمبراطور.
Scylitzae; Histtorico, pp. 706- 707, Polemis; the Doukai, pp. 220.

وظهرت في تلك الظروف العصيبة بعض الشخصيات التي استغلت الأوضاع غير المستقرة لتحقيق طموحاتها والاستفادة من ضعف إدارة ميخائيل للبلاد (١).

وما يهمنا من تلك الظروف أسرة كومنين وكيفية استغلالها للأوضاع، ففي أثناء ذلك استطاع الكسيوس كومنين أن يقوم بتحسين إدارة الأمور في ظل هذه الأوضاع المتشابكة والمنافسات الشديدة، ونجح في ألا يصبح ألعوبة في يد أي طرف من الأطراف، بل واستغل ذلك في تدعيم موقفه وظهر في تلك الظروف بأنه الرجل المناسب الذي لا يمكن الاستغناء عن وجوده، والذي تسعى جميع الأطراف إلى كسب تأييده (٢).

ويتبادر إلى أذهاننا سؤال لماذا لم تستغل أسرة كومنين الوضع بصورة أخرى، أوبمعنى آخر تقوم مثلا بحركة تمرد ربما تنجح من خلالها في الوصول إلى العرش؟

---

(١) من الثورات التى تعرضت لها الإمبراطورية في تلك الفترة ثورة نيقفور برينزس الذى أعلن نفسه إمبراطورًا في أوربا، وفي آسيا ارتدى نيقفور بوتانياتس المعطف الأرجوانى في ظل تأييد طبقة النبلاء الإقطاعية، وغير ذلك من حركات التمرد والعصيان . للمزيد عن ذلك.

Zonarae; Historiarum, pp. 713- 724, Scylitzae; Histtorico, pp. 726- 737, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 330,

الباز العريني: الدولة البيزنطية، ٧٧٥، أمال زيان: ميخائيل بسيللوس، ص ٢٠٨- ٢١٢، أمل فتحي: أسرة آل دوكاس، ص ١٠١- ١٣٢.

(2) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 330.

ربما لأنها لم يكن لديها الاستعداد الكافي، ولم تحصل على شعبية الأسر المدنية بجانب العسكرية، وربما أنها لم ترغب في القيام بأي حركة تمرد في تلك الفترة حتي يطمئن اليها الجميع، وربما أنها وجدت الأمر بدون فائدة لكثرة حركات التمرد في أكثر من جهة؛ لذا اكتفى الكسيوس بما قدمه من أعمال لتحقيق غرضه.

وفى نفس الوقت تواصل آنا دالاسينا محاولاتها للاقتراب من العرش، وفي هذه المرة بعد وفاة زوجة الكسيوس فقد عُرض عليه عرضان للزواج بأخرى كلاهما أفضل من الآخر، الأول عرض الإمبراطور نيقفور بوتانياتس Necephorus Botaniates وهو الزواج من شقيقته، أما القيصر يوحنا فقد فكر أن يزوجه من حفيدته" إيرين Irene[1].

---

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 331, Polemis; Doukai, p. 257, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 188

- **نيقفور بوتانياتس:** ينتمي إلى الطبقة العسكرية في آسيا الصغرى وكان حاكمًا لإقليم الأناضول، ونتيجة لسوء الأوضاع في عهد ميخائيل السابع نادى به العسكر إمبراطورًا عام ١٠٧٨م، وبالفعل نجح في دخول القسطنطينية وخلع الإمبراطور ميخائيل، وتوجه بطريرك القسطنطينية كوزماس وذلك عام ١٠٧٨م ، وتزوج من ماريا زوجة ميخائيل السابع على الرغم من رفض البطريرك هذا الزواج، وهى قبلت هذا الزواج للحفاظ على حقوق ابنها.

Zonarae; Historiarum, pp. 719- 721, Scylitzae; Histtorico, p. 726, Polemis; Doukai, p. 131, Diehl, C., Figures Byzantines, pp. 334-

==

وكانت آنا دالاسينا تميل إلى قبول ابنها عرض الإمبراطور والزواج من شقيقته، إلا أن الكسيوس قرر وبدون تفكير طويل قبول عرض الزواج الثاني لمزاياه المتعددة، حيث كان يرى أن هذا الزواج سيسمح له بتداخل وتقارب المصالح بين أكبر أسرتين في الأرستقراطية البيزنطية، وسيؤمن له تحقيق طموحاته المستقبلية، وسيوفر له دعمًا غير مسبوق، إلا أن هذا القرار قد واجه معارضة شديدة من جميع الأطراف، وبخاصة أمه آنا دالاسينا، وظهرت كراهيتها القديمة ناحية آل دوكاس [1]، ويبدو أن كراهية آنا دالاسينا لآل دوكاس قد طغت على حكمتها المعهودة في اتخاذها للقرارات، لدرجة أنها غضت الطرف عن مصلحة أسرتها.

==

335, Mullett, M., & Smythe, D., Alexios Ikomnenos, University, Belfast, 1996, p. 44,

دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ص ١٦٤-١٦٥، أمل فتحي: أسرة آل دوكاس، ص ٩٢وما بعدها.

- **إيرين:** أصغر بنات" اندرونيكوس" الذى هو أكبر أولاد القيصر يوحنا، ومن ثم كانت شريفة النبعة، وتنتمي إلى بيتين مهمين هما بيتا أندرونيكوس وقسطنطين دوكاس، وتحتل الصدارة في كتاب الكسياد الذي وضعته ابنتها آنا كومنين . للمزيد عنها:

Polemis; Doukai, p. 257ff, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 193ff

آنا كومنين: الكسياد، ص ١٣٨- ١٣٩، دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ص ٨٦-٨٧.

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 331.

وعلى الرغم من ذلك فقد ظهر حس الكسيوس وحنكته السياسية حيث اتخذ من والدته موقفًا حكيمًا بأن أظهر عدم نيته معارضة قرارها، وبشيء من الصبر والهدوء نجح في حملها على التخلي عن موقفها، ووافقت آنا دالاسينا على مضض على إتمام الزواج، كما وافق أيضًا الإمبراطور، وأقيمت احتفالات العُرس في نهاية عام ١٠٧٧م [1]، وعلى الرغم من اتمام الزواج إلا أن ما سوف يحدث بعد ذلك من أحداث يثبت أن دالاسينا قد ظلت محتفظة بمشاعرها تجاه زوجة ابنها، ولم تتخل عن شيء من الحقد والكراهية في التعامل معها، وفكرة التنازل عن موقفها والإذعان لرغبة إبنها في حد ذاتها أمر ثقيل على نفسها، وقد اضطرت له استجابة للظروف.

وبناءً على ما حدث يتبادر إلىنا سؤال هل كانت وجهة نظر الكسيوس صائبة حيال هذا الأمر، أم وجهة نظر والدته، وهل استفاد من تلك الخطوة أم لا؟

الواضح أن الكسيوس كان محقًّا في عدم الانصياع لرغبة والدته، فارتباطه بأسرة آل دوكاس جعلت منه سيدًا للموقف بلا منازع ومكنته من الحصول على التأييد في كل أمر يحتاج فيه إلى التأييد، فقد استطاع أن يكسب تأييد البطريرك الذي كان مطيعًا ومؤيدًا لأسرة آل دوكاس،

---

(1) Angold, the Byzantine Empire, p. 125, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 331, Polemis; Doukai, pp. 257– 258, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 188,

وبزواجه هذا ضم إلى ثروته ونفوذه جزءًا كبيرًا من ممتلكات الطبقة الأرستقراطية، حيث كان يمثل واجهة تلك الطبقة وطموحاتها، إلى جانب أن انتصاراته قد ضاعفت شعبيته، وبلغت شهرتها الآفاق وأصبح في أعين جنوده مثالاً يحتذي به، وكان الجنود لا يفوتون مناسبة إلا ويهتفون بحياته، وكانوا لا يريدون قائدًا غيره (١).

وبالوصول إلى هذه الدرجة يبقى لآنا دالاسينا وأسرة كومنين المحاولة الأخيرة للوصول إلى العرش مستغلين الوضع السيء للإمبراطورية(٢)، ومما زاد الأمر تعقيدًا أن الإمبراطور كان رجلاً كبيرًا في السن بلا نشاط أو حيوية؛ لذا تنامت المطالبة بوجود أسرة جديدة، فكانت الثورة التي قام بها نيقفور ميليسين Necephorus Melissenus – صهر آل كومنين – في آسيا خير دليل على وقوع أزمة شديدة، لكن الحزب المدني أثاره هذا الوضع، وأصبح مشغولاً بشعبية أسرة آل كومنين الجارفة؛ لذا وجد هؤلاء الفرصة سانحة ليوقعوا بالكسيوس عند الإمبراطور، وعلى الفور عندما علم الإمبراطور بالأمر استدعي الكسيوس

---

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 332,

طه خضر: الدولة البيزنطية، ص ١٩٣، محمود عمران: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٥٦.

(٢) كان وضع الإمبراطورية خطيرًا من كافة الجوانب فالإمبراطور يفقد شعبيته شيئًا فشيئًا، وكان وزراؤه يقومون بتبديد الأموال التى تمت جبايتها بصعوبة وبلغت الأزمة المالية ذروتها، وسئم الجيش من ضعف الإدارة . للمزيد عن هذه الأوضاع.

Diehl, C., Figures Byzantines, p. 333.

وأمره بالتصدي لثورة نقفور، وأظهر الموافقة خوفًا من أن يتهمه المغرضون بالولاء لصهره نقفور (١)، وبهذا استطاع الكسيوس بشيء من الدهاء استغلال مجريات الأمور لصالحه، ونجح في التخلص من تلك المؤامرة.

وبناءً على ما حدث يبدو أن الأم كانت على علم تام بما يكنه الحزب المدني لأبنائها؛ لذا تناقشت مع الأخوين إسحاق والكسيوس، وتبادلت كثيراً من الآراء حتي وجد الثلاثة في النهاية حلًّا واحدًا يؤدي بهم إلى النجاة ألا وهو الاقتراب من الإمبراطورة حين تتاح لهما فرصة وجودهما في حضرتها، خاصة وأن إسحاق قد حالفه الحظ عند الإمبراطورة حين اختارته من قبل زوجًا لبنت أختها، وبفضل هذا الارتباط أصبح لإسحاق الحرية المطلقة في المثول أمام الإمبراطورة وقتما شاء، وفي الوقت ذاته كان إسحاق حريصًا كل الحرص على أن يكون لأخيه عند الإمبراطورة مكانة لا تقل عن مكانته عندها من التقدير الكبير والمحبة (٢)، ولعل هذا السلوك الذي أبداه إسحاق والكسيوس لهو خير تعبير عن التربية القوية التى سلكتها آنا دالاسينا مع أبنائها، وعلى ما غرسته في نفوسهم من صفات وحب لبعضهم البعض.

وكان للأم دور كبير في هذه المرحلة النهائية، حيث انتشرت آنذاك أخبار تتحدث عن وجود علاقة وطيدة نشأت بين الكسيوس والإمبراطورة

---

(١) Bryennius, Historia, II, p. 206, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 333. – للمزيد من المعلومات عن هذه الثورة. آنا كومنين: الكسياد، ص ١١٢ وما بعدها.

(2) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 335. آنا كومنين:الكسياد،ص ٩٠-٩١.

ماريا، والتي لم تستطع أن تخفى مشاعرها تجاهه، وهنا نجد الأم دالاسينا تقوم بتزكية هذه العلاقة؛ وذلك بسبب كراهيتها الشديدة لإيرين دوكاس، بل وقدمت المساعدة لتدعيم ما يريد أبناؤها تحقيقه، ونتيجة لذلك قامت الإمبراطورة بتبني الكسيوس كومنين، وتم ذلك في حفل أقيم بالقصر الإمبراطوري، وبناءً عليه أصبح الكسيوس" دومستق الجيوش الغربية" (١)، مما سهل عليه الانخراط في فلك العائلة الإمبراطورية، ومن ثمَّ اقترب من دوائر القصر الخاصة بل وشديدة الخصوصية حتي أنه قد أصبح على علم بما يحاك ضده.

---

(1) Angold, the Byzantine Empire, pp. 125-126, Mullett, M., & Smythe, D., Alexios, p. 38, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 335.

آنا كومنين: الكسياد، ص ٩١، محمود عمران: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٥٦.

- **والجدير بالذكر** أن العلاقة توطدت أكثر بين الإمبراطورة والأخوين لدرجة أنها قامت بإبلاغهما بما أقدم عليه الإمبراطور من تنصيب ابن خاله المدعو سينادينوس Synadenus ليخلفه على العرش؛ لأنه قد بلغ من العمر أرذله ولم يعُد له أي أمل في إنجاب ولد من صلبه، وقد أغضب هذا الاختيار الإمبراطورة؛ لأنه بمثابة إنكار لابنها توليه العرش الإمبراطورى، ولا شك أن الإمبراطور قد وقع بهذا الاختيار في خطر فادح، بذلك لم يحمل الإمبراطورة على زيادة ثقتها به ومضاعفة إخلاصها له، بالتالى زاد التقارب بينها وبين الأخوين إسحاق والكسيوس كومنين.

- للمزيد عن تلك الأحداث:

Angold, the Byzantine Empire , p. 126, Mullett, M., & Smythe, D., Alexios, p. 44, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 336.

آنا كومنين: الكسياد، ص ٩٢- ٩٤.

ولا شك أن هذا التقارب أدى إلى حدوث غيرة شديدة من الحاقدين على الأخوين مما دفعهما إلى تدبير المكائد للخلاص منهما، وقد فطن الأخوان لذلك ولم يعودا يتلازمان في الذهاب إلى القصر كما كان شأنهما من قبل، بل أصبح لكل منهما يومه الخاص به الذي يمضي فيه إلى القصر، إذ لو قضت المقأدير بالقبض على أحدهما بسبب الدسائس والوشايات يظل الآخر حرًا طليقًا، وإن هلك أحدهما بقي الآخر على قيد الحياة [1]، وبهذه الحيلة تفشل سبل الإيقاع بهم.

ولما رأى الحاقدون كل هذا وأدركوا أن مشروعهم الذي دبروه فى طريقه إلى الإخفاق الذريع والفشل التام، وأنه ليس من السهولة الإيقاع بهذين الرجلين" إسحاق والكسيوس"؛ لذا فكروا في خطة أخرى تتمثل في استدعاء الشابين ذات ليلة- وعلى غير علم من الإمبراطور- للتخلص منهما وسمل عيونهما بتهمة ملفقة، لكن استطاع الأخوان أن يقفا على خبر المؤامرة، وعرفا مدى الخطر البالغ الذي يهددهما [2].

وبعد كل هذه المحاولات الفاشلة قررت آنا دالاسينا اغتنام الفرصة والقيام بالثورة التي لم تجد غيرها سبيلاً لنجاتهما وسلامة روحيهما، وفي

---

(1) آنا كومنين: الكسياد، ص ٩٤.

(2) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 336. آنا كومنين: الكسياد، ص ٩٧. - **وتجدر الإشارة** إلى أن الأخوين قد علما بذلك إما عن طريق الإمبراطورة ماريا وإما عن طريق حاشية الإمبراطور نفسه، حيث قد توصل الأخوان إلى كسب صداقة خدم الإمبراطور وحاشيته بالكلام العذب والتلطف معهم .

آنا كومنين: الكسياد، ص ٩٧. Diehl, C., Figures Byzantines, p. 336.

تلك الأثناء صدرت التعليمات إلى الكسيوس بأن يجلب إلى المدينة فيلقًا من العسكر لقتال الترك- الأتراك السلاجقة-، وقد رأى الكسيوس في هذه التعليمات الإمبراطورية الفرصة الملائمة لإصدار أمر كتابي باستدعاء جميع ضباط الجيش التابعين له ومعهم رجالهم، ولم يدع هذه الفرصة تفلت من يده، فاستجابوا له واستعدوا للتحرك، ثم أسرعوا إلى العاصمة، وعندما سأل الإمبراطور الكسيوس عن ذلك أكد له أن الجيش موجود في كل النواحي، ولم يأت هنا سوى طائفة قدموا من بعض الولايات بناءً على طلب الإمبراطور (١)، ويبدو أن الإمبراطور قد اقتنع بأقوال الكسيوس وادعاءاته.

ولما رأى المتآمرون فشل هذه الاتهامات في حمل الإمبراطور على اتخاذ أي إجراء ضد الأخوين اغتنموا فرصة ظلام الليل لنصب كمين لإسحاق وأخيه الكسيوس، وقد سمع ما يدبر للأخوين رجل " لآني المولد"- أى أنه من قبائل الآلان التى غزت الإمبراطورية الرومانية-، وكان قد بلغ مرتبة قيادية كبيرة إلى جانب عمله في خدمة الإمبراطور ويُعَدُّ من أصدقائه الخلص، ولما انتصف الليل ذهب إلى الكسيوس في داره، وأخبره بكل ما يدبر في الخفاء ضده وضد أخيه، فأخذه الكسيوس إلى أمه وأخيه، وعندما استمعوا إلى هذا النبأ قرروا أن الوقت قد حان لتنفيذ خطتهم

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 336. آنا كومنين: الكسياد، ص ٩٧.

السرية[١] ، ويبدو أن الأحوال بدأت في التحول لصالح أسرة آل كومنين خاصة بعد فشل الحاقدين في الإيقاع بهم.

ويظهر دور آنا دالاسينا بوضوح في تلك اللحظة الحاسمة التي تنتظرها منذ عام ١٠٥٩م، ففي الرابع عشر من شهر فبراير عام ١٠٨١م قامت بتدبير حيلة بارعة تنطوي على المكر الشديد، إذ أمرت جميع أهل بيتها بالتجمع مساءً لزيارة الكنائس الطاهرة لأداء الصلاة حسب مألوف عادتها في التردد بانتظام على جميع الأحرام المقدسة، واستجاب الجميع لأمرها[٢] .

ولما اقتربت لحظة الحراسة الليلية الأولي قام الأخوان بحمل السلاح والخروج من العاصمة الملكية وصاحبهما عدد من المؤيدين لهما، ثم أغلقا جميع الأبواب وسلما مفاتيحها إلى أمهما، وانقضى معظم الليل، وهذه الأحداث تجرى على قدم وساق، على أنه قبل أن يصيح الديك مؤذناً بطلوع الفجر فُتحت الأبواب، وخرج الجميع ومعهم أمهاتهم وأخواتهم وزوجاتهم وأطفالهم، واستأذن إسحاق والكسيوس من النسوة وأسرعا إلى قصر " بلاخيرناي"، على حين هرولت النساء في عجلة إلى كنيسة سانت

---

(١) آنا كومنين: الكسياد، ص ٩٨.

(2) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 336, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 188. آنا كومنين: الكسياد، ص ١٠١.

صوفيا، وفي الوقت نفسه وصل الأخوان إلى معسكرات الجيش الموجودة في تراقيا Thrace [1] .

وطبقًا لما ذكرته آنا كومنين في هذا أن هؤلاء النسوة عندما وصلن إلى الكنيسة سألهن الحارس: من يكن؟، ومن أين جئن؟، فردت عليه إحداهن قائلة:" إنهن نسوة من المشرق أنفقن كل ما معهن من مال في شراء ما هن

---

(1) Mullett, M., & Smythe, D., Alexios, p. 43, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 336, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 188.

آنا كومنين: الكسياد، ص ١٠١.

– **قصر بلاخيرناى:** هو أحد القصور الإمبراطورية في القسطنطينية، وكان حي بلاخيرناى الشديد الاتساع في الغرب الأقصى من المدينة، وكان معه كنيسة عظيمة القداسة تضفي على المنطقة جوًا من الكرامة والمهابة. انظر رنسيمان: **الحضارة البيزنطية**، ص ٢٢٠– ٢٢١.

– **تراقيا:** يُعد أول الأقاليم البيزنطية في الغرب ، وفي العصر المتأخر القديم كانت مدينة تراقيا تحيط بها جبال البلقان والبحر الأسود وبحر مرمرة ونهر نيستوس **Nestos**، ومن القرن الرابع إلى السابع الميلادي كانت عبارة عن مقاطعات عديدة، ويذكر أنه في القرن السادس شيد في تراقيا حائط طويل من أجل الدفاع عن القسطنطينية ضد هجمات البرابرة، وترجع نشأته إلى عهد قسطنطين الرابع" ٦٦٨– ٦٨٥م".

Kazhdan: the Oxford Dictionary, Vol, 3, p. 2079,

الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص ١٤٣، طارق منصور: قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس وكتابه عن الأقاليم البيزنطية، منشور ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطي، جـ١، مصر العربية، القاهرة، ٢٠٠١، صـ ١٤٩– ١٨٤، ص ١٧٨.

في حاجة مُلحة إليه، ويرون الإسراع بأداء الصلاة"، وحينذاك بادر الحارس بفتح الأبواب وأذن لهن بالدخول (١) .

ولما علم الإمبراطور في الصباح عقد اجتماعًا، وقرر النيل من الأخوين، كما أرسل في الوقت نفسه أحد رجاله إلى النسوة يستدعيهن إلى القصر، والمعروف أن آنا دالاسينا كان لديها مهارة النقاش والحوار- بسبب نبل مولدها- والذي كانت تمارسه بكثير من الاقتدار، وكان باستطاعتها أن تجتاز أصعب المواقف وأكثرها تعقيدًا (٢) .

لذا عندما وصل إليها الرسل أخذت تدافع عن أبنائها، وردت آنا دالاسينا قائلةً:" إن ولدي إسحاق والكسيوس عبدان مخلصان لسدتكم المبجلة، وهما مطيعان لكم في كل شيء طاعة عمياء، وإنكم لتعرفون أنهما لم يزهقا روحًا، ولم يعذبا أحدًا، بل كانا على الدوام يعرضان نفسيهما للخطر دفاعًا كريمًا عن إمبراطوريتك، ولكن الحسد الذي لا يطيق أن يري جميل صنعك معهما وعطفك عليهما قد عرضهما لخطر فادح لا يملكان له دفعًا....، إلا في الرحيل عن المدينة لا كثائرين متمردين عليك بل كخادمين مخلصين لك" (٣).

ولكن الرسل ألحوا عليها أن تعود معهم، ومارسوا عليها ضغطًا شديدًا من أجل هذا الغرض، فقالت لهم:" اسمحوا لي أن أدخل كنيسة الرب

---

(١) الكسياد، ص ١٠٢.

(2) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 320.

(٣) الكسياد، ص ١٠٣.

فأصلي له، وإنه لمن العار أن أُمنع من دخول بيت الرب بعد أن أصبحت أمام أبوابه، وأن يُحال بيني وبين التوسل لسيدتنا أم المسيح الطاهرة؛ كي تشفع لي عند الرب"، واستجاب الرسل إلى طلبها، ولكنها خدعتهم فما أن سمحوا لها حتي تعلقت بالأبواب المقدسة ممسكة إياها بقبضة من حديد وصاحت" لن أبرح هذا الموضع الطاهر حتي ولو بترت يداي، وما أراني بمغادرة إياه إلا بشرط واحد هو أن أتسلم صليب الإمبراطور الكبير لضمان سلامتي" (١) .

وبعد محاولات عديدة انصرف الرسل بعد أن رأوا أن عنادهن أخذ يزداد حدة، وخافوا حدوث شغب، وذهبوا إلى الإمبراطور وقصوا عليه القصة، ويبدو أن الإمبراطور قد تأثر بكلمات آنا دالاسينا؛ لذا بعث رسوله حاملاً الصليب تأكيدًا جديدًا بالأمان، وبهذا تركت الكنيسة ومعها بناتها وزوجتا ولديها، وذهبت إلى دير بتريون Petrion Monastery (٢) .

---

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 336, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 188. آنا كومنين: الكسياد، ص ١٠٣.

(2) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 337, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 189, آنا كومنين: الكسياد، ص ١٠٤.

– **دير بتريون:** كان يعرف قديمًا باسم بتريا Petria وهو عبارة عن منطقة دينية بها العديد من الكاتدرائيات والكنائس والقبور، وقد نالت اهتمامًا من بعض أباطرة بيزنطة، وتوجد في القسطنطينية في منطقة القرن الذهبي. **للمزيد من المعلومات:**

==

ولم يكن عليهن الانتظار طويلاً، حيث عرض مؤيدو القيصر يوحنا دوكاس الذي كان قد دعمهم من قبل باسمه وبثروته القيام بتحريرهن، وفي تلك الأثناء تم المناداة بالكسيوس إمبراطورًا وسار هو وأخوه إسحاق والمؤيدون مسلحين إلى العاصمة وقاموا بحصارها(١)، وحين استطاع الأخوان دخول العاصمة بعد حصار طويل واطمأن خاطرهما كل الاطمئنان اتفقا على أن أول واجب ينبغي عليهما القيام به يتمثل في زيارتهما لأمهما، وتقديم ما جرت به العادة من فروض الاحترام(٢)، ويدل ذلك على أن كل شيء كان يتم تحت علمها وسمعها وبتدبيرها.

==

Kazhdan; the Oxford Dictionary, Vol, 3, p. 1643, milingen, A, V; Byzantine Constantinople: The Walls of the City and Adjoining Historical Sites , Vol, XIV, London, 1899, p. 207.

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 337, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 189. آنا كومنين: الكسياد، ص ١٠٥.

– **وتجدر الإشارة إلى أن** أسرة دوكاس فعلت كل شيء مستطاع، ووعدوا الضباط وعامة الجند بكل نفع إن اعتلى الكسيوس العرش، وربما يكون تأييدهم هذا راجعًا إلى أن قريبتهم إيرين ستصبح إمبراطورة، وحينذاك اقتدى أقاربها بها، وفي نفس الوقت عمل بعض المؤيدين لإسحاق على المناداة به إمبراطورًا، وكان من الممكن أن تحدث منافسة شديدة بين الأخوين، وبما أن دالاسينا قد غرست فيهم الحب والاحترام، فقد قام إسحاق بأخذ الحذاء الملكى، ووضعه في قدم الكسيوس. للمزيد من المعلومات: آنا كومنين: الكسياد، صـ ١٠٨-١١١.

(٢) آنا كومنين: الكسياد، ص ١٢٢.

لم يتخذ الإمبراطور في تلك الظروف العصيبة التي تمر بها الدولة موقفًا حاسمًا للخروج من تلك الأزمة، وكل ما قام به أنه أرسل رسالة إلى الأخوين يقول فيها:" أنا شيخ هرم قد رق عظمي ووهن بدني وإنني وحيد في هذه الدنيا، وليس لي ولد ولا أخ ولا قريب"، ثم قال موجهًا كلامه إلى الإمبراطور الجديد قائلاً:" وإنه ليقول لك إنه مُتبنيك إن قبلت ذلك، ولن ينتزع شيئًا من الامتيازات التي منحتها لجميع رفاقك في السلاح، ولن ينازعك بأي حال من الأحوال سلطانك كإمبراطور، ولكنه سوف يكتفي بأن تستبقي له اللقب الإمبراطوري، والهتاف باسمه، والسماح له بلبس الأرجوان ....." (١).

وفي تلك الظروف العصيبة التي تمر بها الإمبراطورية قدم القيصر النصيحة للإمبراطور قائلاً:" إن هذه العروض كانت ملائمة قبل دخول المدينة، أما الآن فلا محل للمفاوضة، وعليك أن تذهب إليه وتقول له" أما وقد صرت شيخًا هرمًا فحري بك أن تتخلي عن العرش وتلتمس ما فيه سلامتك" (٢).

---

(١) آنا كومنين: الكسياد، ص ١٢٢.

– **وتؤكد آنا كومنين** لم يتخذ أى إجراء حاسم بسبب أنه أثناء حصار جيش كومنين للعاصمة كان هناك طامع آخر في العرش يسرع نحو أبواب المدينة، وهو نقفور ميليزينس، فأدرك شدة حرج موقفه ورفض أن يحارب في جبهتين في وقت واحد، إضافة إلى أنه رجل كبير في السن، فأصبح لا يشعر بالأمان إلا وهو خلف الأسوار. للمزيد عن ذلك. الكسياد، صـ١١٤ وما بعدها.

(٢) آنا كومنين: الكسياد، ص ١٢٢– ١٢٣.

كما قدم له بطريرك القسطنطينة النصيحة للإمبراطور بالتخلي عن العرش قائلاً" لا تكن البادئ بإذكاء نار حرب يكون الأهالى وقودهـــا، ولا تتحدي مشيئة الرب، ولا تكابر فتكون سببًا في تلطـــيخ المدينـــة بـــدماء المسيحيين، ولكن عليك أن تستجيب لإرادة الله، وأن تنبـــذ الـــدنيا وراءك ظهريًا، وإنه لخير لك أن ترحل من بيننا"، بالفعل أخذ الإمبراطـــور هـــذه الكلمات مأخذ الجد، وبعين الاعتبار وتخلى عن العـــرش والتحـــق بأحـــد الأديرة وذلك عام ١٠٨١م (١).

وانتهت هذه الأحداث بتولي الكسيوس العـــرش وظهـــور أســـرة جديدة على عرش الإمبراطورية البيزنطية، والآن يمكـــن أن تكـــون آنـــا دالاسينا سعيدة، فها هو ابنها قد صار إمبراطورًا، وكانت هي وراء هـــذا المنصب حيث وضعت عدة خطوات تم تنفيذها بتمهل وبعناية، ومهدت له بهذا الطريق نحو العرش، وبما أنها كانت ماهرة وعنيدة إلى جانب كونها طموحة، فلقد نجحت آنا دالاسينا فيما سعت إليه، وكان ذلك بمثابة النتيجة المضمونة والمنطقية لإصرارها وتمسكها بإعادة المجد لعائلتهـــا، وكـــذلك تضحية الأم الصادقة والتي لم تتغير عبر السنوات والتـــي دأبـــت علـــى إظهارها لأبنائها، وبهذا الانقلاب بدأت أسرة جديـــدة فـــي حكـــم الدولـــة البيزنطية، وهي أسرة آل كومنين.

---

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 337, Oman, C, W, the Story of the Byzantine Empire, London, 1892, pp. 256-257,

آنا كومنين: الكسياد، ص ١٢٣- ١٢٤.

ثانيًا: دور آنا دالاسينا بعد تولي الكسيوس العرش:

وعندما تولي الكسيوس العرش كان لأمه آنا دالاسينا صاحبة الفضل الأكبر في الوصول إلى هذا المكان العديدُ من الأدوار منها الدور السياسي، ويبرز هذا الدور بمجرد دخول الكسيوس القصر الإمبراطوري فقد حرص كـل الحرص على منح والدته الكثير من الامتيازات، فمنذ صغر سنه كان يكن لوالدته الاحترام والتقدير، كما كان حريصًا على أخذ مشورتها والعمل بها، وها هو قد أصبح إمبراطورًا بفضل مساعدتها وخطتها؛ إذن كان عليه أن يشركها في كل شيء وجعل لها الصدارة والكلمة النافذة التي لا تـرد(١)، كما منحها اللقب الإمبراطوري- رغم أنها لم تتوج- وجعلها تشاطره إياه في مزاياه، على الرغم من الحقيقة الثابتة أن الإمبراطور كان قد جاوز سن الصبا وصار في عمر يحق فيه لصاحبه ممارسة السلطة، وتكون مقاليد كل شيء في يده(٢) .

---

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 338, , Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 190, Jackson, G. M., Women Rulers, p. 25,

آنا كومنين: الكسياد، ص ١٤٨.

(2) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 338, , Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 190,

آنا كومنين: الكسياد، ص ١٤٨.

- **والجدير بالذكر** أن الكسيوس قد أشرك أخاه إسحاق معه في كل شيء احترامًا منه له احترام الابن لأبيه، وكان لا يقضي أمرًا أو يقدم على خطة من الخطط إلا ويدعوه أن ==

بل وصل الأمر إلى أبعد من ذلك، وأصبحت هي صاحبة السلطة الفعلية، وذلك طبقاً لما ذكرته آنا كومنين:" كان الكسيوس هو الإمبراطور من الناحية النظرية ولكن السلطة الحقيقية كانت في يدها، فهي المشرعة والمنظمة الوحيدة وهي الحاكم المفرد الذي لا يشاركه أحد في السلطان..... .... [١] .

وبهذه الامتيازات تنامت سلطة آنا دالاسينا، وكأن الإمبراطور قد تخلى عن مقاليد الحكم وآثر الركض إلى جانب عربة الإمبراطورية التي تستقلها الإمبراطورة، مكتفيًا بلقب الإمبراطور، فكان لها تأثير كبير على الإمبراطور لا يمكن تجاهله حيث تأمر وتنهي وابنها يطيع [٢] ، وربما يكون هذا بمثابة تعويض لها عن الإحباط الشديد الذي أصيبت به عام ١٠٥٩م أي بعد تنازل عمه إسحاق كومنين عن العرش، ورفض زوجها تولي السلطة.

ولكي يحظى الكسيوس برضا والدته أكثر فرض على نفسه عقوبة تستمر لأربعين يومًا ردًّا على أعمال النهب التي اجتاحت العاصمة، وفرض على الجميع الالتزام بها، ولكي يحوز على مزيد من الرضا فكر

==

يشاركه فيها، فكانت لديه النية في الحفاظ على الروابط الأسرية، لذا منح أفراد عائلته الكثير من الامتيازات.

آنا كومنين: الكسياد، ص١٣٤. Diehl, C., Figures Byzantines, p. 338,

(١) آنا كومنين: الكسياد، ص ١٥٠.

(2) Mullett, M., & Smythe, D., Alexios, p. 45 ,Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 190, آنا كومنين: الكسياد، ص ١٤٨.

في أمر شديد الصعوبة ألا وهو قرار الانفصال عن زوجته؛ لأنه لم يخف على أحد عدم موافقتها على زواج ابنها من إيرين، وحاولت منعها من التتويج بحجة أنها ليست أهلاً للتاج الإمبراطوري، وبالفعل قام البطريرك كوزماس الأول Kosmas I بتتويج الكسيوس وحده (١).

ولا شك أن هذا قد عمل على إزعاج آل دوكاس الذين أصروا على وجوب تتويج إيرين، وكان البطريرك متحمسًا لتتويجها، في الوقت الذي تحاول

---

(1)Angold, M., the Byzantine Empire, p. 126, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 338, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 189,

آنا كومنين: الكسياد، ص ١٣٧.

– **البطريرك كوزماس:** تولى كرسي البطريركية من عام ١٠٧٥م حتى عام ١٠٨١م، كان معارضًا للزواج الثالث للإمبراطور نقفور الثالث، كما نهى الكسيوس عن طلاق زوجته إيرين، وتخلى عن الكرسي عام ١٠٨١م. انظر. دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ص ٤٤.

– **ربما فكر الإمبراطور** الكسيوس في طلاق زوجته والزواج بأخرى؛ وذلك بسبب وجود الإمبراطورة ماريا التي ما زالت تقيم في القصر المقدس هي وابنها، وقد رفض الكسيوس إخراجها من القصر وكانت ترغب في أن يزودها الكسيوس بعهد خطي مكتوب لا يقتصر هذا العهد على السماح لها بالعيش مع ابنها في طمأنينة بل وأن يكون ابنها قسطنطين شريكًا في الحكم لألكسيوس، لذا بدأت الشائعات بأن الكسيوس سيطلق زوجته ويتزوج ماريا وربما لم يقم بتتويج زوجته لهذا السبب.

Zonarae; Historiarum, Vol, 3, p. 747, Angold, M., the Byzantine Empire, p. 126, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 338, Mullett, M., & Smythe, D., Alexios, p. 44,

آنا كومنين: الكسياد،ص ١٣٥– ١٤٢

فيه دالاسينا إقناعه بعدم القيام بهذه الخطوة؛ لذا عندما وجدته مخلصًا لأسرة آل دوكاس فكرت بالإطاحة به، ومع ذلك لم يتغير موقف البطريرك، ويعلن دائمًا أنه لن ينزل عن كرسي البطريركية إلا بعد أن يرى تتويج إيرين؛ لذا بعد مضي سبعة أيام من تتويج الكسيوس تم تتويج إيرين إمبراطورة(١)، ويبدو أن آنا دالاسينا كانت تقدر خطر آل دوكاس الذي لا يمكن الاستهانة به؛ لذا كانت ترغب في عدم تتويج زوجة ابنها.

وعلى الرغم من تتويج إيرين إلا أن آنا دالاسينا كانت صاحبة السيادة، وهي الإمبراطورة التي لم تتوج، وأكد الكسيوس كومنين ذلك حينما كان عليه مغادرة القسطنطينية عام ١٠٨١م لمحاربة النورمان بزعامة روبرت جويسكارد Robert Guiscard فجعل أمه هي المسئولة، وعهد إليها وحدها بكل السلطة التنفيذية طوال فترة غيابه عن العاصمة، وأعلن ذلك في مرسوم قرئ على رءوس الأشهاد(٢) .

---

(1) Zonarae; Historiarum, Vol, 3, p. 747, Diehl, C., Figures Byzantines, p. 340, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 21, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 189, Polemis, D., Doukai, p. 257, Angold, M., the Byzantine Empire, pp. 126–127 آنا كومنين: الكسياد، ص ١٣٧.

(2) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 340, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 22, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 190, Makk, F., the Arpads and the Comneni Political Relations between Hungary and Byzantium in the 12th Century, Hungary, 1989, p. 9, آنا كومنين: الكسياد، ص ١٤٦.

==

وقد برر الكسيوس اختياره لأمه بقوله:" حين تنذر الأمور بالخطر أو تتوقع حدوث أمر بالغ السوء فليس هناك من مكان أكثر أماناً من الأم التي تفهم ابنها وتحبه لأنها إن بذلت له النصيحة فنصيحتها مأمونة، وإن هي صلت من أجله أمدته صلاتها بالقوة وأسبغت عليه الرعاية....." (١)، ويظهر لنا ذلك مدى تعلق الابن بأمه وحبه الشديد لها، وأنه كان يحتاج إلى شخص يثق فيه.

وطبقًا لهذا الاختيار أسند الكسيوس إلى أمه الأمور المالية والمدنية وأحكام القضاء وشئون الإدارة، واحتفظت لنا آنا كومنين بنص هذا المرسوم" أنا إمبراطوركم أُقرر بوضوح لا لبس فيه ولا إبهام في هذا

==

- **النورمان:** كانوا من ساكني شبه جزيرة اسكندناوه وحوض البحر البلطي تركوا بلادهم الأصلية وأغاروا على غرب أوربا بحثًا عن حياة أفضل يحركهم حب المغامرة، واستقروا عند نهر السين عام ٩١١م وقد اشتقت البلاد التى استقروا بها اسمها، وهى نورماندیا.

Haskins, C., the Normans in European History, New York, 1959, pp. 30-31, Kazhdan, the Oxford Dictionary, Vol, 3, pp. 1493-1494.

- **روبرت جويسكارد:** كان روبرت نورمندي المولد مجهول النبعة تربى في أحضان الشر، وكان على جانب كبير من الجبروت في الخلق، وكان خسيسًا أشد الخسة وإن كان مقاتلاً شجاعًا، وعنده حيل ومكر في نهب أموال الناس وسلب سلطانهم، وقد انطوت نفسيته على كراهية شديدة للإمبراطورية الرومانية. **للمزيد من المعلومات:** آنا كومنين: الكسياد، ص ٦٠- ٦٦.

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 320, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 190, آنا كومنين: الكسياد، ص ١٤٦.

المرسوم الذهبي الحالي ما يأتي: إنه نظـــرًا لخبرتهـــا الدقيقـــة بـــالأمور العلمانية- وإن كانت هي لا ترى لها قيمة- فإن ما تقرره كتابةً فيما يتعلق بكل ما يُرفع إليها سواء من ناحية أمين بيت المـــال أم موظفيـــه أم مـــن غيرهم في شكل مذكرة أو استفسار....، أقول إن كل ما تقرره كتابةً فـــي هذا الموضوع يكون له صفة السريان الدائم كما لو كنتُ أنا الذي أصدرته أو أمليته (١) .

أما بالنسبة لتعيين الموظفين ومنح الرتب والأوسمة فكل شيء أصبح تحت أمرها وتابعًا لقراراتها، ويقول الإمبراطور في هذا الشأن" ... وبالنسبة إلى الترقيات وتولي مناصب الحكومة والخزانة وما يتعلق بمواضيع الإنعامات التشريفية والوظائف، فإنه يكون لأمي الطاهرة الســـلطة التامـــة لاتخـــاذ القرارات التي تراها ملائمة، .... وإذا رقي شخص إلى سلك القضـــاء أو الخزانة وأنعم عليه بمرتبة عالية أو متوسطة أو صغيرة، فإنه يظل محتفظًا بهذه الوظيفة على الدوام،..... وفي حالـــة زيـــادة الرواتـــب وتخفـــيض الضرائب وتقليل المصروفات فلوالدتي أن تقرر ما تراه مناسبًا، لا يسألها سائل ماذا فعلت...." (٢) .

وختم مرسومه بقوله" ولن تكون أمـــي تحـــت أي ظـــرف مـــن الظروف- في حاضرها ولا في أيامها القادمة- موضع مؤاخذة أو مساءلة

---

(١) آنا كومنين: الكسياد، ص ١٤٧.

(٢) آنا كومنين: الكسياد، ص ١٤٨.

من قبل أحد أيًّا كان هذا الأحد، ويسري هذا القرار على وزرائها وكبيرهم سواء أكانت هذه القرارات تبدو معقولة أم غير معقولة ...." (١) .

ولا شك أن الدور الظاهري والبارز الذي لعبته آنا دالاسينا يُعد أحد الركائز الأساسية التي دار حولها الجدل حول ضعف شخصية الكسيوس، ومع ذلك لم ندعم هذه الحجة، لأن الكسيوس لم يكن هو الذي رفع مكانتها، فقد كانت دائمًا بمثابة رئيس للعائلة، وتتحكم في مصادرها التي كانت تستخدمها عمومًا لمساعدة جميع أفراد الأسرة؛ لذا كانت قراراتها فوق كل الانتقادات الحالية والمستقبلية، وهذا لا يعني أن الكسيوس كان إمبراطورًا ضعيفًا (٢) .

وهذه شهادة من آنا كومنين بأن الإمبراطور لم يعط السلطة لأي امرأة وحسب" لكنهم لو عرفوا أية امرأة كانت هذه المرأة في ذكائها الوافر وفي كفاءتها الكبيرة وألمعيتها الحادة ونشاطها الجم، فإنه سرعان ما يتحول كل نقدهم إلى إعجاب بها، ويرجع السبب في ذلك إلى ما كانت عليه جدتي من قدرة فائقة في السيطرة على الأمور العامة، وما كان لها من عبقرية في إدارة وتسيير دفة أمور الحكم وحسن تطبيقها" (٣) .

وتواصل آنا كومنين كلامها" والحق أن قدرتها لم تقتصر على إدارة الإمبراطورية الرومانية فحسب، بل وكل إمبراطورية أخرى تحت

---

(١) آنا كومنين: الكسياد، ص ١٤٨.

(2) Mullett, M., & Smythe, D., Alexios, p. 50.

(٣) الكسياد، ص ١٤٩.

الشمس؛ نظرًا لخبراتها الواسعة، واتساع أفق تفكيرها، وفهمها للدوافع، وتقديرها لخواتيم المسائل.....، كذلك كانت ملكاتها الذهنية مكافئة لقدراتها على الكلام فامتازت بأنها أكثر المتحدثين إقناعًا لمن هم أمامها، ولم يكن في حديثها أبدًا ما يبعث على الملل أو يؤدي إلى السأم.....، وكانت إلى جانب ذلك قد بلغت النضوج حين استُدعيت لإدارة السلطة الإمبراطورية، وقد تم ذلك الاستدعاء في لحظة تبلغ فيها ملكات المرء العقلية ذروة نضجها وتوهجها....." (١)، وشهد لها الجميع بأنها قد نجحت وبجدارة في إدارة شئون الإمبراطورية، وكانت لديها القدرة على متابعة أدق شئون الدولة(٢).

فالصباح من يومها كان مخصصًا للاستماع إلى أحوال الإمبراطورية، وتصريف شئون العمل والنظر بدقة فيما يعرضه عليها كبار موظفي الدولة، كما تقوم أيضًا بتوقيع الرسائل التي تحتاج إلى التوقيع، حيث كان لدالاسينا الختم الخاص بها، وتقوم مرة أخرى في المساء بمتابعة الأحوال العامة وشئون الدولة حتي حلول الليل (٣) ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أنها كانت تمتلك مهارات إدارية رائعة، ربما اكتسبتها من خلال تجربتها كرئيس لمجموعة كبيرة من ممتلكات أسرة آل كومنين.

---

(١) الكسياد، ص ١٤٩.

(2) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 341.

(3) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 342, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 190, آنا كومنين: الكسياد، ص ١٥٢.

أما عن دورها الإقتصادي والمالي فطبقًا لما ذكرته آنا كـــومنين: "كانت آنا دالاسينا بطبيعتها امرأة مفكرة، دائمة الاستنباط لأفكار جديدة لا تؤدي- كما يزعم البعض-إلى ضياع الدولة، بل كانت هذه الأفكار تتضمن من المشاريع المفيدة ما رد على الإمبراطورية شبابها، فأصلحت ما اعوج من الأمور المالية" (١) .

ونتيجة لكثرة الحروب التي خاضها الإمبراطور الكســيوس فقــد تعرضت الإمبراطورية لأزمة مإلىــة شــديدة، وعلــى أثرهــا بــدأت الإمبراطورة الأم بتقديم الكثير من الاقتراحات لحل هذه الأزمة، ووصــل تفكيرها إلى البحث في القوانين والتشريعات القديمة علها تجد فيهــا مــا يسمح لها ببيع قليل من المخلفات والآثار الطاهرة، وما يتيح شرعية أخــذ بعض الآثار المقدسة الموجودة منذ زمن بعيد في الكنائس؛ لفــك أســرى الحرب، وافتداء المسيحيين الذين يعيشون في قبضة المتبربــرين- ربمــا يقصد بهم النورمان أو الأتراك السلاجقة- (٢)، ويبدو أنها رغبــت فــي الانتفاع بهذه الأشياء المقدسة التي ظلت زمنًا طويلاً لا ينتفع بها أحد.

ولكن ما حال دون الاستفادة من هذه الأشياء هو ضرورة موافقــة رجال الدين على ذلك؛ لذا بعد أن قدمت هذا الإقتراح، ووافق عليه غالبية الحضور، أسرع النائب إسحاق إلى كنيسة الرب، وقدم الاقتراح إلى رجال الدين، الذين أدهشهم وجود البطريرك إذ جرت العادة على حضوره فــي

---

(١) الكسياد، ص ١٥١.

(٢) آنا كومنين: الكسياد، ص ٢٠٢.

الأمور الكهنوتية فقط، وعندما سألوه عن سر وجوده فقال:" لقد جئت لعرض اقتراح سوف يساعدنا في هذه المحنة القاسية، ويؤدي إلى خلاص جيشنا"، ثم تلا عليهم القوانين المتعلقة بالآثار المقدسة التي لم تعُد تستعمل في شيء، وختم كلامه" إنني مضطر لأن أُرغم من أكره أن أرغمهم"(١)، وبهذا تكون آنا دالاسينا قد وضعت الحل الأمثل لهذا المشكلة التي تعرضت لها الدولة البيزنطية.

أما عن دورها الاجتماعي فقد استطاعت آنا دالاسينا أن تعيد النظام إلى الإمبراطورية، وأن تدخل كثيرًا من الإصلاحات والتعديلات المتعلقة بالمراسم والعادات في القصر الإمبراطوري، بحيث أصبحت العادات المتبعة أكثر دقة وصرامة ربما عن تلك العادات المتبعة في الأديرة.

وطبقًا لما ذكرته آنا كومنين أن أجنحة القصر كانت مشهورة بالانحلالات الخلقية، وكان يحاك فيها مكائد الغرام الدنيئة منذ أن اعتلى العرش قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine IX الرذيل، وظلت على هذا الحال حتى تولى الكسيوس العرش، فجاءت آنا دالاسينا وغيرت الأوضاع إلى ما هو أحسن، فاستعاد الذوق الجميل مكانته، وعمت الأخلاقيات، وأصبح القصر يتمتع بتنظيم جدير بالثناء عليه (٢) .

---

(١) آنا كومنين: الكسياد، ص ٢٠٢.

(٢) الكسياد، ص ١٥١.

==

فوضعت برنامجًا صارمًا في القصر الإمبراطوري، وهذا البرنامج نَظَّم مواعيد تناول الطعام ومواعيد العمل، وكان على الجميع الانصياع لهذا النظام الذي وضعته الإمبراطورة، وجعلت من نفسها مثلاً يحتذى به كل شخص حتى صار القصر أشبه ما يكون بالدير، وهذا بفضل ما اتسمت به من خلق طاهر(١).

وفي خارج القصر الإمبراطوري كان عطفها على الفقراء والمعوزين أمرًا يعجز اللسان عن إيفائه حقه، فكان بيتُها ملجأ للمعدمين، تم فتحته أمام الغرباء فكانوا لا يُصدون عنه أبدًا ولا توصد أبوابه في وجوههم، وكان على الجميع احترامها حتي أصحاب السوء وضحايا الشهوات، فكانت نظرة العتاب الواحدة منها إليهم كفيلة ببث الخوف في قلوبهم، فلا تعود لهم

==

– **قسطنطين التاسع:** هو أحد كبار الأرستقراطية المدنية تزوج من العجوز زوي في الأسرة المقدونية؛ ليتولى عرش الإمبراطورية عام ١٠٤٢م، وقد كان يشغل من قبل منصبًا كبيرًا داخل القصر الإمبراطوري، وقد ظلت الإمبراطورية تحت حكم امرأتين ورجل حتى عام ١٠٥٥م. **انظر.** عفاف صبره: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٣٣٠.

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 342, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 191, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 24, Haldon, J., the Social History Byzantium, 2009, p. 244, Shepard, J., the Cambridge History of the Byzantine, p. 618,

آنا كومنين: الكسياد، ص ١٥١.

– **ولا شك أن** تنظيم القصر بطريقة أشبه بالدير جعلت البعض ينظر إلى آل كومنين على أنهم نموذج للتقوى، وعمل ذلك على إحياء الرهبانية في القسطنطينية منذ منتصف القرن الحادي عشر. See. Shepard, J., the Cambridge History of the Byzantine, p. 618.

قدرة على احتمال النظرة الثانية منها إليهم أي يكنون لها الاحترام المشوب بالخوف[١] .

أما أهل العفة فكانت سعادتهم تتمثل في رؤيتهم إياها، فهم أهل الخُلق السامي والمهابة، وكان في ذلك إكرامهم، ولم توح جديتها ولا صرامتها أبدًا بالإحساس بالفظاظة أو القسوة، كما أن رقتها لم تكن تدفع أحدًا للطمع في التسيب ولا الخلاعة [٢]، ويدل ذلك على مدي الخلق الرفيع الذي كانت تتمتع به آنا دالاسينا حتى فاقت في ذلك الجانب جميع نساء عصرها.

أما عن دورها الديني فقد تميزت آنا دالاسينا بالورع والتقوى، ورغم كثرة انشغالها بأمور الدولة فلم يصرفها ذلك عن القيام بواجباتها الروحية، فكانت تقضي الجانب الأكبر من ليلها في ترتيل الأناشيد الدينية، وتعكف على الصلاة حتى طلوع الفجر، وتواصل واجباتها الروحية في المساء حيث كانت تذهب إلى كنيسة القديس تكلا Saint- Thecle وذلك لحضور الصلوات المقررة [٣] .

---

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 319,.١٥٢ آنا كومنين: الكسياد، ص

(٢) آنا كومنين: الكسياد، ص ١٥٢.

(3) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 342,

آنا كومنين: الكسياد، ص ١٥٢.

==

إضافة إلى ذلك كانت آنا دالاسينا تحب مصاحبة الرهبان والجلوس معهم، فكانت تُجلهم وتعظم قدرهم، فتأبى إلا أن يشاركوها طعامها، فما رؤيت قط جالسة وحدها إلى المائدة بل كان بعض رجال الدين ضيوفاً عليها(١) .

وبما أنها كانت شديدة الورع والتقوي ومحبة للرب فقد قامت آنا دالاسينا بتأسيس دير بانتبوبتس Monastery of Pantepoptes ، وقدمت الكثير من التبرعات الخيرية (٢)، ومما يدل أيضًا على ورعها أن الختم الخاص بها قد نقش عليه عبارة" إلهي ساعد آنا دالاسينا الراهبة أم الإمبراطور" وهذا ما يوضحه الشكل(٣).

==

– **كنيسة القديس تكلا:** قام الإمبراطور إسحاق كومنين"١٠٥٧-١٠٥٩م" ببنائها تمجيدًا للقديس تكلا، ولم يدخر وسعًا في الصرف عليها، وفي المبالغة في زينتها وحلاها ببدائع الفنون.

للمزيد من المعلومات عن سبب بناؤها: آنا كومنين: الكسياد، ص ١٥٣-١٥٤.

(١) آنا كومنين: الكسياد، ص ١٥٢.

(2) Mannis, V., Architecture and Ritual in the Churches of Constantinople, Cambridge, 2014, p. 138, Mullett, M., & Smythe, D., Alexios, p. 48, Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 192, Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 22.

– **دير البانتبوبتس:** يُعد من أحد الأديرة المهمة في القسطنطينية، قد تم بناؤه في وقت قصير جدًا. للمزيد من المعلومات عنه انظر:

Mannis, V., Architecture and Ritual in the Churches, p. 138.

(3) Garland L., Byzantine Empresses Women, p. 190.

وبفضل إخلاص الكسيوس كومنين وحبه الشديد لأمه، إضافة إلى شخصيتها القوية، فلقد ظلت آنا دالاسينا مرتبطة بالسلطة على مدار عشرين عامًا، وعلى الرغم من ذلك فكان لديها شعور داخلي بأن ساعة الرحيل قد قربت؛ لذا لم تنتظر حتي يتم إبعادها عن السلطة، وأن تصبح بين يوم وليلة غير مرغوب بها، فانسحبت بكامل إرادتها فجأة من الحياة في القصر عام ١١٠٠م لتقيم في دير بانتبوبتس حيث توفيت عام ١١٠٥م[1] .

وبعد دراستنا لدور آنا دالاسينا في بيت آل كومنين يمكننا الخروج بالعديد من النتائج الأتية.

– أن آنا دالاسينا كانت شخصية فريدة من نوعها، بذلت كل ما في وسعها لاغتنام الفرصة المناسبة لاستعادة السلطة وعودتها مرة ثانية لأسرة آل كومنين.

---

(1) Diehl, C., Figures Byzantines, p. 342.

– **وهناك آراء** ذكرت أن آنا دالاسينا أجبرت على دخول الدير، ومعنى ذلك أنه ليس بكامل إرادتها.

Skoulatos, B., Les personages Byzantins, p. 22

– يرجع إليها الفضل في أنها من وضعت أبنائهـــا علـــى أول الطريـــق للوصول إلى السلطة، وعملت على حمايتهم لمدة أربعة عشر عامًا حتـــي تحقق حلمها ونجحت فيما سعت إلىه.

– وأن دور آنا دالاسينا لم يكن قاصرًا على الصيبة فقط بل رغبت أيضًـــا في تأمين مستقبل بناتها، بأن قامت بتزويجهن من أشـــخاص أثريـــاء وذو مكانة.

– وبهذا الاهتمام استطاعت تلك الأم أن تغرس في أبنائها قدرًا كبيراً مـــن الحنان والحب والاحترام لها.

– أثبتت آنا دالاسينا أن عالم السياسة لم يكن عالمًا ذكوريًّا فقـــط، حيـــث استطاعت أن تبسط سيطرتها على كافة شئون الإمبراطورية، وقد نجحت وبجدارة في إدارة الإمبراطورية.

– وعلى الصعيد الشخصي فقد تركت آنا دالاسينا ذكرى سيدة قويـــة فـــي نفوس كل من اقترب منها، ولأبنائها ذكرى أم حانيـــة وحريصـــة علـــى مستقبل أبنائها.

قائمة المصادر الأجنبية:

- Attaliates, M., The History, trans, Kaldellis, A., & Krallis, D., London, 2012.
- Constantini Manassis Compendium Chronicum, PG 127, 1853.
- Leo Grammaticus, Chronographia, CSHB, Bonnae, 1842
- Leonis Allatii; Diatriba De Pselliis, PG, 122.
- Michael Glycas: Annalium Pars IV, CSHB, Bonnae, 1836.
- Nicephorus Bryennius, Historia, II, CSHB, Bonnae, 1836.
- ……, Histoire, ed, Gautier, p., Bruxelles 1975.
- Procpius, History of the Wars, trans, Dewing, H. B., vol, I, New York, 1914 & vol, II, London, 1916.
- ……:_Buildings, trans, Dewing, H.B., vol, VII, London, 1971.
- Psellus, M., The chrongraphia, trans. Sweter, E. R. A., New Haven, Yale University, 1953.
- Symeon Magister aclogothete; in Theophanes Continuatus, ed Bekker. 1, CSHB, Bonnae , 1838.
- Theophanes Continuatus, CSHB, Bonnae, 1838.
- Theophanes, the Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern history" AD 284- 813", trans, Mango,C., & Scott, R., Oxford, 1997.

قائمة المراجع الاجنبية

- Ameilhon, H. P., Histoire du Bas-Empire: en commençant à Constantin le Grand, Vol, 15, Paris, 1833.

- Angold, M., the Byzantine Empire 1025-1204, A Political History, New York, 1947, .

- Barker: Justinian and the Leter Roman Empire, Wisconsin, 1960.

- Bury , J. Administry System in The Ninth Century,London, 1911.

- Cabe, J., the Empresses of Constantinople, London, 1913.

- Cheynet, J., The Byzantine Aristocracy and Its Military Function.

- Diehl, C., Figures Byzantines, Paris, 1906.

- Garland, L., Byzantine Empresses Women and Power in Byzantium, "AD 527- 1204", New York, 1999.

Haskins, C., the Normans in European History, New York, 1959.

- Jackson, G. M., Women Rulers Throughout the Ages, ABC- Clio, 1999.

- Joseph; The Empresses of Constantinople, London, 1913.

Kazhdan, A. P., & Epstenin, A. W., Change in Byzantine Culture in the Eleventh and Twelefth Centuries, England, 1985.

……., the Oxford Dictionary of Byzantium, Vol, 1, Oxford, 1991.

milingen, A, V; Byzantine Constantinople: The Walls of the City and Adjoining Historical Sites , Vol, XIV, London, 1899.

- Ostrogorsky, G,. History of the Byzantine State, trans, Hussey, J, London, 1956.

- Polemis, D., The Doukai from Ninth to the Twelfth Centuries: A Contribution to Byzantine Prosopgraphy, Presented for the degree of Philosophy, London, 1964.

- Shepard, J., the Cambridge History of the Byzantine Empire "c. 500- 1492" New York, 2008.

- Skoulatos, B., Les personages Byzantins De L'alexiade, Louvain, 1980.

Vasilive, A. A., History of the Byzantine Empire" 324-1453", Vol, 1, Madison, 1952.

- Vryonis, The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the Eleventh through the Fifteenth Century, Los Angeles, 1971.

قائمة المصادر العربية والمعربة

- ابن الأثير" عز الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم الشيباني ت. ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م"، الكامل في التاريخ، جـ٥، بيروت، ١٩٦٦.

- آنا كومنينا: الكسياد، ترجمة حسن حبشي، ط٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩.

- بروكوبيوس: التاريخ السري لبروكوبيوس(حياة الإمبراطور جستنيان وثيودورا)، ترجمة صبري أبو الخير سليم، ٢٠٠١.

- .....: الحروب القوطية، ترجمة عفاف صبره، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١٩.

- ميخائيل السرياني: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك انطاكية، جـ٣، حلب، ١٩٩٦.

قائمة المراجع العربية والمعربة

- أمال حامد زيان: الدور السياسي للمؤرخ ميخائيل بسيللوس بالدولة البيزنطية"١٠٤١- ١٠٧٨"، القاهرة، ٢٠١٢.

- أمل فتحي سيد علي زيتون: السياسة الداخلية والخارجية للدولة البيزنطية على عهد أسرة آل دوكاس" ١٠٥٧- ١٠٨١م"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، ٢٠١٤.

- جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية" ٢٨٤- ١٤٥٣م"، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٨.

- حسنين محمد ربيع: تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة، القاهرة، ١٩٨٣.

- دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ، ٢٠٠٣.

- رنسيمان: الحضارة البيزنطية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧.

- سانت موريس: ميلاد العصور الوسطي، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

- سيد أحمد علي الناصري: الروم تاريخهم وحضارتهم وعلاقتهم بالمشرق العربي، القاهرة، ١٩٩٣.
- السيد الباز العريني: تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٠.
- طارق منصور: قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس وكتابه عن الأقاليم البيزنطية، منشور ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطي، جـ١، مصر العربية، القاهرة، ٢٠٠١، صـ ١٤٩- ١٨٤، ص ١٧٨.
- طه خضر عبيد: تاريخ الدولة البيزنطية، ط١، عمان، ٢٠١٠.
- عائشة سعيد أبوالجدايل: المرأة والسلطة في العصور الوسطي، بحث منشور ضمن مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الحولية الأولي، ٢٠٠٢، ص ١- ٨٢.
- عبد العزيز رمضان: المرأة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر، القاهرة، ٢٠٠٥.
- عبد الغني محمود عبد المعطي: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين" ١٠٨١- ١١١٨م"، المنصورة، ١٩٨٣.
- عفاف صبره: تاريخ الدولة البيزنطية، ط١، عمان، ٢٠١٢.
- علية عبدالسميع الجنزوري: المرأة في الحضارة البيزنطية، ط١، القاهرة، ١٩٨٢.
- فايز نجيب اسكندر: أسرة برينيوس ودورها في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، بحث منشور ضمن المجلة التاريخية المصرية، العدد ٣٣، ١٩٨٦، ص ١١٣-١١٧.
- محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، القاهرة، ١٩٨٩.
- محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤.
- محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار العرفة الجامعيه، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
- هسي: العالم البيزنطي، ترجمة رأفت عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧.